وزارة الثقافة والإرشاد
مديرية الثقافة العامة

ديوان الشعر العربي الحديث
١

اللهب المقفى

شعر

حافظ جميل

اللهب المقفّى

★ جاءنا حافظ بديوانه الثالث فاذا هو كنانة شعر رائع سداه الحماس والاباء والشجاعة في قول الحق والاعتداد بالنفس ولحمته الجزالة وحسن الاستعارة والطرافة والغزل ففي شعره حكمة وفيه فلسفة وفيه حلاوة وفيه طلاوة وفيه عظة وفيه تاريخ وفيه محاورة وفيه مساجلة ·

منير القاضي

★ وبعد فهذا هو « اللهب المقفى » الديوان الثالث للشاعر العربي الكبير (حافظ جميل) الذي انتهت اليه فحولة الشعر بعد رواد نهضته في العصر الحديث من امثال البارودي وصبري وشوقي وحافظ ومطران ثم الرصافي والزهاوي وحفظ للشعر العربي خصائصه الفنية في المعاني الفخمة والديباجة المشرقة والموسيقى العذبة بين دعوات شتى للتحلل من القيم المأثورة لذلك الشعر من هنا وهناك ·

بدوي طبانة

التصميم : جميل حمودي

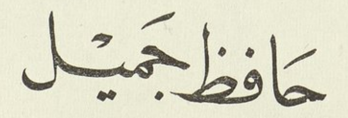
وزارة الثقافة والارشاد * مديرية الثقافة العامة

ديوان الشعر العربي الحديث

١







دار الجمهورية ـ بغداد
١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م

مُقدّمة

بقلم الاستاذ العلامة

السيّد منير القاضي

وزير معارف العراق الاسبق
ورئيس المجمع العلمي العراقي الاسبق

الادب من أرفع الفنون الجميلة أثرا ، وأبلغها عمقا ، تمتاز به الامم بعضها عن بعض علوّا وارتفاعا في الحياة الاجتماعية حسب قوّته واصالته في امة ، وضعفه وضآلته في أخرى ، فاذا بلغ من القوة الشدة والرصانة في أمة ، كانت قدوة حسنة لغيرها ، وكان أثره السموّ بها الى مكانة مرموقة ، محفوفة بأنوار الهدى ، فلا تضل ولا تشقى ، لان الادب ينير دروب الحياة وفيه الدواء الشافي من العلل الاجتماعية . فهو السلاح الحاد والواعظ الرشيد ، والمعلم الصادق ، والامام الهادي ، والدليل العارف ، والرفيق الامين . فهو جماع الفضائل وملاك الخير والقوة . فما هو الادب ؟

يدور على الألسنة كثيرا لفظ (العلم) مقرونا بلفظ (الادب) فلا تكاد تحسبهما يفترقان فهـــل هما مترادفان ؟ أو هل هما أخوان متعــانقان ؟ أو هل هما نظـــيران متقاربان ؟ أو هل هما ضـــدان أو متناقضان ؟ أو هل هما شيئان متغايران لا غير ؟

نرى الاستاذ يكرر عبارة (العلم والادب) في فصول أبحاثه ، والمحاضر في (التلفزيون) يسهب في تكرار هذه العبارة عندما يحاضر في موضوع أدبي أو علمي ، والصحفي يزيّن أعمدة صحيفته بالاكثار من تكرار هذه العبارة اذا ما تناول البحث في موضوع علمي أو أدبي ، والسامعون والمستمعون من الطلاب وسائر المثقفين يتلذذون بهـــذه العبارة عندما تطرق أبواب آذانهـــم ، وان لم يستطيعوا أن يشرحوا معناها شرحا سليما .

ان صفوف بعض المدارس تقسم الى قسمين : (القسم العلمي) و (القسم الادبي) وان بعض المكتبات تصنف كتبها الى فروع ، منها (الفرع العلمي) و (الفرع الادبي) فما هو العلم وما هو الادب ؟

طالعت كثيرا من كتب الادب قديمها وحديثها ، وتساءلت كثيرا مع الادباء عن مفهوم الادب فلم أحصل على تعريف صحيح له يطمئن له القلب . ويوحى الى نفسي أن مفهوم الادب عنـــد جميـع الامم والشعوب واحد ، كما ان مفهوم العلم عنـــد جميع الامم والشعوب واحد . ولهـــذا تعانق (العلم والادب) فأصبحا أخوين لا يفترقان وصديقين حميمين شريفين لا يتباعدان وان اختلفا في المفهوم . فمفهوم العلم يشرح في المقدمات العلمية . ومفهوم الادب يشرح في المقدمات الادبية . ومن حيث اني أقدم كلمة في الادب فقد اقتصرت على شرح

مفهوم الادب والوصول الى تعريف له • وقد استنرتُ في ذلك باستقراء ابراهيم عليه السلام اذ رأى كوكبا فقال : هذا ربي ، فلما أفل قال : لا أحب الآفلين • ثم انه لما رأى القمر بازغاً قال : هذا ربي ، فلما أفل قال : لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين • فلم يحفل بالكوكب ولا بالقمر لان صفة الأفول فيهما تستبعد أن يكون أحدهما رباً • ثم لما رأى الشمس بازغة وهي أعظم منهما حجماً وأسطع نوراً ، قال : هذا ربي ، هذا أكبر ، فلما أفلت • قال وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض ... الخ •

قد كان ابراهيم متحيّرا في معرفة ربه ، فوجه ملاحظاته الى الموجودات النيرة المحسة علّه يجد بينها ربه ، وهي الكوكب والقمر والشمس ، فلما يئس من أن يكون احداها ربا هداه عقله وتفكيره الى أن ربه لا تراه الابصار بل البصائر ، فوجه وجهه اليه ، فوصل الى الحقيقة •

وهكذا استعرضت في خاطري ما قد يذهب اليه الفكر الى أنه هو الادب • فلاحظت بادىء ذي بدء أن الادب هو اللغة ، والنحو ، والصرف ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ، والعروض ، والقوافي ، والنقد ، والتأريخ• ولكن بعد التأمل أدركت أن هؤلاء لاتصلح أنتكون هي الأدب لانها لا تؤدي ما يؤديه الادب من الاغراض السامية في المجتمع • فلو حفظ الراغب في الأدب عن ظهر غيب محيط الفيروز أبادي ولسان العرب وكتاب سيبويه ومفصّل الزمخشري وكافية ابن الحاجب وشافيته وألفية ابن مالك ومفتاح العلوم للسكاكي وتلخيصه ونحوها من أمهات كتب اللغة والنحو والبلاغة والتأريخ ولم يرزق

مفهوم الأدب ، لا يكون أديبا ولا يستطيع أن يؤثر أثرا في النفوس والافكار والمجتمع ، فهذه اذن هي علوم الأدب لا هي الأدب • أي انها علوم تنير طريق الادب •

ثم انتقل الذهن الى أن الأدب هو الشعر والنثر لأن بهما تظهر الآثار الأدبية التي لها حكمها في الحياة الاجتماعية ، وقد شاع بين كثير من الادباء مذهب من قال ان الادب هو الشعر والنثر الصحيحان، ولم يزل هذا المذهب شائعا في بعض المعاهد الادبية وبين كثير من أساتذة الأدب • ولكن الحقيقة نبهتني الى أن الشعر والنثر ما هما الا طريقان مستقيمان صالحان يسير فيهما الادب ، أو هما بمثابة سلكين حساسين ينفذ منهما الادب الى القلوب والنفوس فيضيء طريقها ويفعل فيها فعله ويقضي بحكمه ، شأن سريان الكهرباء في الاسلاك ينفذ الى المصابيح فيضيء الشوارع والبيوت وينفذ الى المحركات فيزود المعامل بالقوة العاملة المنتجة • فالناظر الى الظاهر يذهب الى أن المصابيح هي التي تبعث الضوء ، وان المحركات هي التي تصدر القوة الهائلة المنتجة ، ولكن العارف بالحقيقة والواقع ، يعلم أن الباعث للضوء والقوة المحركة هي الكهرباء الجارية في الاسلاك الواصلة الى المصابيح والمحركات • وهكذا أمر الشعر والنثر ، فليسا هما الأدب بل هما الطريقان الموصلان أثره والمظهران نتائجه • ثم خطر لي أن الأدب قد يكون من البديهيات ، والبديهيات لا تعرف ، بل تدركها الأذهان ، ومن كل هذا يتبين الاختلاف في تفهم الأدب ــ فمن قائل انه الشعر والنثر ، ومن قائل انه الشعر والنثر والخطابة ، ومن ذاهب الى أنه اللغة والنحو ••• الخ ، ومن متحير في حقيقته ــ يشعر انه ليس من البديهيات •

ثم هداني التفكير العميق واستعراض كلام شيوخ الأدب الى أن الأدب ملكة من الملكات التي يقتدر بها من توفرت فيه على ابداع أثر ايجابي ، له نتائجه المحمودة كالعلم ، فالعلم ملكة ، والادب ملكة ، والخطابة ملكة ، والتصوير بنوعيه الرسمي والنحتي ملكة . ولكل ملكة من هذه الملكات آثارها الخاصة ، وطرقها الخاصة . ولهذه الملكات ما يغذّيها ويقويها ويسمو بها ، فتختلف درجات من توفرت فيهم وتتفاوت منازلهم حسب اختلاف ذلك قوة أو ضعفا .

الادب اذن ملكة يقتدر بها من توفرت فيه على التعبير عما يدور في خلده من الحقائق والأخيلة وسائر ما يريده بكلام بليغ نثرا أو نظماً ، وقوامه علومه من لغة ونحو وصرف .. الخ .. والمران والمطالعة المستمرة لكتب النتاج الأدبي من منظوم ومنثور للمبرّزين من الكتاب وكبار الشعراء ومشاهير النقاد . وفي رأس مقوماته القرآن الكريم الذي بلغ حد الاعجاز ، فالاكثار من قراءته بامعان وتدبر يعلو بالروح الأدبية الى مكانة سامية ، ويقوي الملكة الأدبية ، فان القرآن الكريم قد جاء باسلوب معجز حكيم يقتبس الأديب من نوره ما يهديه الى سوح الأدب الواسعة الشاسعة فيصول فيها ويجول . فهذا هو مفهوم الأدب على ما أرى .

طريق الأدب

وللأدب طريقان : النظم والنثر . ولا أقول الشعر والنثر كما يقول بعض الادباء ظناً منهم أن الشعر والنظم مترادفان . وليس هذا بصواب ، فان الشعر مشتق من الشعور ، والشعور حركة في خلايا

الدماغ منبعثة من دافع خارجي • وقد تصل هذه الحركة الى الاضطراب ، وقد ترتفع الى التهيج ، وقد تعلو الى ما فوق ذلك حسب قوة الدافع وشدته ، فتثير النفس وقد تدفع الجسم الى المخاطر تحمسا • وقد تكون هادئة تلعب في الخلايا لعب النسيم في أوراق الورود ، فتهديه انبساطا وارتياحا ولذة ما فوقها لذة ، وقد ترسم فيها صورا تنقبض منها النفس فتنزوي وتنكمش فتثير الحزن والألم • أما النظم ، فهو صوغ الكلام بأوزان معينة على قوافي معينة ، من غير التفات الى ما يحمله من المعاني وما يبعثه في النفس من شعور وما يثير فيها من انبساط أو انقباض فالنظم ان جاء متلبسا بالشعور مؤثرا في النفوس انبساطا أو انقباضا ، سرورا أو حزنا ، حماسا أو ركودا ونحو ذلك من آثار الشعور ، فهو شعر ، وهو نظم ، والا فهو نظم فقط • فالنظم أعم من الشعر • قد نظم كثير من العلماء علوما ذوات شأن ، فنظم فيلسوف الاسلام ابن سينا منظومة مسهبة في الطب ، ونظم ابن مالك الفيّة في النحو والصرف ، وهكذا ، وليس في هذه المنظومات شيء من معنى الشعر ، ولم يقصد ناظموها الا تسهيل حفظ قواعد العلوم على الطلاب • فالنظم شيء والشعر شيء • قارن بربك بين قول القائل :

مشيناها خطىً كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطىً مشاها

وبين قول حافظ جميل :

حسب الحيّة لحظها ان سلّمت ... وشفاهها ان أومأت لمسلّمِ
أي البراعم أينعت وتفتحت ... ورجعن أكماماً كهذا البرعم
لو أن أزهار الربيع لمحنه ... لرقصن من طرب لأجمل موسم

وقارن بين قول القائل :

وما هذه الايام الا صـــحائف ونحن على أجداثنـا في عبورها
تمرُّ بنـــا يوما فيـوما فتنقضي تقلبها الأيدي ونحن سـطورها

وقول حافظ جميل وقد ضعف بصره :

عيني التي أضـــرمتها ناراً بجذوتها اكتويت
وظللت أشرب من ســعير دموعهـا حتى ارتويت
ولطـالما هتكت بنظرتهـــا السرائر فاهتـديت
واليوم أمسك بالعصا حذر العثار اذا مشيت

فالاول تفلسف محض والثـــاني فلسفة وشعر . فالأول نظم والثاني شعر .

روافد طرق الأدب

للأدب طرق ، ولهذه الطرق علوم سبق أن أشرت الى أكثرها، ولها روافد تغذي أهم علومها (اللغة) ، وهي المصطلحات العلميـــة والأدبيـــة والاجتماعية ، مرتجلة أو منقولة (مترجمة) أو معربـــة موضوعة أو مقتبسة . فان هذه المصطلحات تجري بالأدب حياً متطوراً فلا يقف عند حد ولا يرجع الى الوراء ، ولا يصبح غريبا في دنيـــا الأدب . وان الجمود والانعزال عما يتجدد من المعاني والمصطلحات في المجتمعات المدنية والبيئات العلمية في العالم المتمدن ، وقوف مشـين بالأدب ، كما أن التعصب الشديد في استعمال الألفاظ ومنع التصرف بها تصرفا لا يخرجها عن الأصول والقواعد العربيـة لأشـد ضررا

وأسوأ مغبة من الجمود والانعزال • ولقد رأيت بعض الادباء يتحرجون حتى في استعمال حروف الجر بعضها مكان بعض ناسين أو متناسين أن ذلك سائغ للمستعملين ، وانه من قبيل الاستعارة التبعية، فهي تجري في الأفعال وفي حروف الجر كما هو مبسوط في بحث الاستعارة التبعية في علم البيان ، فيجوز استعمال حروف الجر بعضها مكان بعض وفق طريقة الاستعارة التبعية ، من غير اضطرار الى تضمين متعلقاتها معاني أفعال أخرى • وفي القرآن الكريم كثير من هذا الاستعمال مثل : لأصلبنّكم في جذوع النخل • أولئك على هدىً من ربهم •

هذه نبذة وجيزة من القول في الشعر • وأما النثر فهو الطريق اللاحب الواسع العريض للأدب منه يجري أفواج الكتاب ، وزمر الصحفيين ، وجماعات المشترعين ، وطوائف المؤلفين ، ووفود القصاصين بما فيهم أصحاب المقامات • ومنه يمشي الخطباء ويسعى الوعاظ ويعدو المرشدون •

والكلام في النثر يملأ الكتب ويفيض ، وأنا أقدم لديوان شعر لا لمجموعة نثر ، على أني لا أغفل مسألة جديرة بالتنبيه اليها ، هي هل يسمى النثر الذي يثير الشعور ويحدث في النفس انبساطا أو انقباضا شعراً ؟؟• كما يسمى النظم الذي يحدث ذينك شعرا على ما مر بيانه • لا أعلم أن أحدا من القدماء سمى ذلك شعرا ، غير أن المحدثين من الادباء يسمي مثل هذا النثر (الشعر المنثور) تمشيا مع مفهوم الشعر في علم المنطق • ولا حرج في التسمية ، ولا سيطرة لقديم على جديد • بل التجدد أو التجديد رمز الحياة في الامة •

وأما النظم الحديث الذي يرغب فيه البعض ويسميه (النظم الحر) أو (الشعر الحر) • فلا أتعجل في الحكم له أو عليه • لأنه لم تستقر أوزانه، ولم توضع له قواعد وأساليب ، ولم ينصرف الى جانب المعاني تصرفات دقيقة مترابطة ، بل قد لا تجد بين بيت وبيت أو شطر وشطر ارتباطا ، بل لا تجد في المعاني الا تخيلات غريبة ولا تجد في أكثر الألفاظ الا مجازات بعيدة ، ولا تحتمل هذه العجالة التبسط فيه • ولعل المستقبل يداويه ، والاستعمال يصقله ، والنقد يقيمه ، والاستقراء يستخرج له قواعد وأوزاناً •

الأدب المطعَّم

وقفت على بحث لبعض الادباء تعرض فيه لنوع من الشعر سماه (الشعر المطعم) يعني به شعرا عربيا مطعما بالشعر الغربي أو الشعر الفارسى وضرب لذلك أمثلة أكثرها من قبيل النظم لا الشعر ، ثم انه بعدما أسهب القول فيه قال يتلخص من البحث أن في الادب نوعا يجدر به أن يسمى (الأدب المطعم) ، وهو تزاوج بين الادب العربي وأدب آخر كالأدب الفارسى والأدب الفرنسى وهكذا • ولا أستصوب هذا المذهب وأظنه ناشئا من عدم تفهم معنى الادب ومعنى الشعر تفهما صحيحا دقيقا • فلا تطعيم بين أدب وأدب، ولا تزاوج بين شعر وشعر ، فمعنى الادب في الامم واحد ، ومعنى الشعر فيها واحد • وكالرسم ، والنحت ، والموسيقا ، فان مفهومها واحد في جميع الامم والشعوب • والتغاير والتطعيم والتزاوج في الانتاج ووسائل الانتاج • نعم قد يصح هذا المذهب على القول الشائع على ألسنة كثير من الأدباء من أن الادب

هو النثر الصحيح والشعر الصحيح • وقد سبق أن بينا موجزا خطل هذا القول •

الشاعر حافظ جميل

سبق لحافظ جميل أن نشـر له ديوانان شاهدان على اصالة شعره ، وجزالة نظمه ، وتعمقه في استنباط المعاني الدقيقة التي تصوز في الأذهان صـورا قد يعجز عن تصويرها الرسام المـاهر ، والنحات القـادر ، والشاعر والرسام والنحات أخوان الصفا ، ورعـاة الفن والجمال ، وحماة النفائس والأعلاق • فالشاعر يعمل بروعة خياله ، وحسن تعبيره ، وبلاغة مقـاله ، والرسام بمرونة ريشته ، وانسجام ألوانه ، وهندسة أشكاله ، والنحات بمرهف ازميله ، وقوة بنانه ودقة تصرفه • وهم وأخوهم الموسيقار شيعة واحدة ، وحزب واحـد ، ينهض بالفن الرفيع ويقدم دروساً تصقل الأخلاق وتنمي الأذواق • وقد رافقهم في هذا العصر السينمائي فهو عنصر في الفن جديد وأخ لهم في الصنعة الرفيعة • والكل يؤدي للشعب ما يهذب ذوقه ويضيء دروبه ويقوم أخلاقه •

وقد جاءنا حافظ بديوانه الثالث فاذا هو كنانة شعر رائع سـداه الحماس والاباء والشجاعة في قول الحق ، والاعتداد بالنفس ، ولحمته الجزالة وحسن الاستعارة والطرافة والغزل ، مما ينبيء أن حافظا كلما خطا خطوة في عمره المديد ان شاء الله تعـالى شب روح الشباب في شعره ، فجاء غضا رقيقا ، فيه حكمة ، وفيه فلسفة ، وفيه حلاوة ، وفيه طلاوة ، وفيه عظة ، وفيه تأريخ ، وفيه محاورة ، وفيه مساجلة •

وحافظ منذ نعومة أظفاره ذواقة للشعر ، عرافة بالنقد ، كثير المطالعة لدواوين مشاهير الشعراء ، فتأثر بشعر أبي نواس وأبي العتاهية والبحتري والمتنبي ، فجاء شعره يحمل مرح أبي نواس مطعما بزهد أبي العتاهية ممزوجا باباء المتنبي وشجاعته واسلوبه •

قرأت هذا الديوان ، وكلما انتهيت من قصيدة قلت هذه هي غرة الديوان ويتيمة قصيده • فهو مجموعة فرائد وصفحات غرر • وان كنت في شك مما قلت فأرجع البصر في قصائده وسرح الفكر في عيون أبياته ، تجد أن القول حق ، والحق أقول •

ومن مزايا حافظ أنه لم يمدح في شعره مدح تزلف ، ولم يرثِ أحدا الا من يستحق الرثاء من الادباء كالعقّاد •

شاعرية حافظ جميل

الشعر موهبة يهبها الله من يشاء من عباده فضلا منه ، والله يؤتي فضله من يشاء • ولا يأتي الشعر بالتكلف والتعمل ، فالقريض المتكلف نظم لا شعر • وحظ حافظ من هذه الموهبة حظ عظيم قلّ من نال مثله من الشعراء المعاصرين • ولا تسع هذه المقدمة الوجيزة سرد القليل من عيون أبياته التي تغمر معظم صفحات الديوان • ولكني لا أهمل ذكر البعض منها • فمنها قوله في قصيدة (ليلة في الشوير) :

رب (رومية) وما عرف الحسن   لآرام رومـــة أشــباها
برزت من كناسها تتهادى   في عزيز من دلّها وصباها
يتنزى الجمان في مفرقيها   كتنزي القلوب في لقياها

عصبت رأسها بمنديل ورد شغلتنا عن حسنه وجنتاها
وأزاحت عن هالة الصدر شفاً طالما ذرّ خلفه قمراها

وقوله في قصيدة (أصنام المال) :

من زيّف الناس أخلاقاً وايمانا وصير الراهب الزمّيت شيطانا
حلاوة المال لم تترك لذي ورع ديناً ولا لرقيق القلب وجدانا
تشقى الألوف لتبني مجد طاغية يزهو على جبروت الله طغيانا
لم يحزم البدو من جوع بطونهم الا ليصبح كرش الشيخ ملآنا

وقوله في قصيدة (آمال) :

ولكم أخذت عليك بخلك حين أطمع في رضابِكْ
وأنا الذي لو شئت عاقرت المنون على حسابك
وجعلت من عيني طعامك والمفضل من شرابك

واقرأ قصيدة (مع الراح) تجد أن شيطان أبي نواس يستوحي من شيطان حافظ السحر الحرام من سطور السحر الحلال .

واقرأ قصيدة (لبنان) تجد البحتري وحافظاً تطابقا في بداعة الوصف ، لكن هذا وصف بلداً عربياً نفتخر به ، وذاك وصف ايوان كسرى ، وكل من الشاعرين عربي أصيل .

واقرأ قصيدة (من الاك يا ربي) وقصيدة (استغفار) تتصور أبا العتاهية وحافظاً متضرعين الى الله يطلبان العفو عما أسلفا من أخطاء، وأبو نواس خاشع من ورائهما يقول : آمين .

ولا تسع هذه الصحائف المعدودة أن أسطر كل ما أتحسس به من شعر حافظ ، ولكن لذلك موضع آخر ان شاء الله تعالى .

٥-٣-١٩٦٦ منير القاضي

نظرات في اللهب المقفى

بقلم الأديب الكبير

الدكتور بدوي طبانة

استاذ النقد الادبى بجامعة القاهرة
والمنتدب بجامعة بغداد

ألف كثير من أهل الفكر وحملة الاقلام وأرباب القريض أن يقدموا بين يدي أعمالهم الفنية أو العلمية كلمات يومئون بها الى مقاصدهم ، ويكشفون فيها عن دوافعهم ومناهجهم ، ويمهدون بها للقارىء سبيل الدخول الى موضوعهم .

وكثيرا ما يحملون هذا العبء بعض من يظنون بهم النصفة من الأولياء والأصدقاء ، ملتمسين منهم التأييد أو التمجيد ، والنظر في آثارهم بعين الصديق ، أو عين الرضا ، وقد يلجئون الى ذوي الخبرة بالعمل الذي يقدمون ، ليكون في كلامهم ما يشبه الشفاعة عند القراء الذين سيطالعون نتاجا جديدا لكاتب جديد يقتحم مجالات الفكر أو

الفن في أول عهده بها ، كما ألف الناس كثيرا من أمثال ذلك في هذا الزمان .

وأنا واثق كل الوثوق أن شيئا من هذا الذي ذكرت لم يكن له شيء من التسلط أو الايحاء الى صديقي الشاعر الكبير « حافظ جميل » حين طلب الي كتابة الكلمة الاولى في ديوانه الجديد « اللهب المقفى » !

ذلك أن شعر حافظ جميل ليس في حاجة الى تقديم من أحد ، بل ان هذا الشعر العذب الصافي البديع يقدم نفسه في زهو وكبرياء لا يعرفهما خلق حافظ جميل الذي هو أبعد من عرفت عن العجب والخيلاء .

وربما كانت الحياة الوادعة التي يحياها بعيدا عن أجواء الضجيج والصخب والدعوى الفارغة التي يحياها كثير ممن ينتسبون الى الفن والادب في أيامنا الحاضرة ، ويتخذون من حياة التهريج وسيلة لترويج بضاعة فاسدة وتجارة كاسدة .. أقول ربما كانت حياة حافظ جميل الوادعة ، وعزوفه عن المجامع والمحافل ـ اذا استثنينا نفرا قليلا من ألافه ومريديه وأصفيائه يلتقي بهم في داره ، أو يفي لهم بالزيارة لماما ـ مظهرا من مظاهر تواضع نفسه ، وزهادتها في الكبر والخيلاء بنفسه الكبيرة ، أو بفنه الاصيل .

وأعتقد أن تواضع حافظ جميل وانزواءه عن المجتمعات يحملان معنى من معـاني الأنفة والترفع والاباء ، وهي صفات ألزم ما تكون لذوي المواهب الذين لا يمتهنون مواهبهم باتخاذها شباك صيد ، سواء أكان الصـيد مأربا من مآرب الحياة الفانية ، أم كان اشباع شـهوة من شهوات النفوس في الشهرة وذيوع الصيت في عالم الناس .

وما أبعد الفرق بين من يصعر خده ، ومن يملك زمام نفسه ، ويحول بينها وبين التردي والضعة في استجداء الاعجاب ممن لا يملك سببا من أسباب الاعجاب •

ولم يكن حافظ جميل محتاجا الى التقديم أو التعريف ، اذ هو معروف بشخصه ، ومعروف ببيته الذي هو أحد البيوت المذكورة في الشام قبل العراق ، ومعروف بأجداده من رجال العلم والادب والجاه، ومعروف بأبيه الفقيه العـالم الذي درّس طويلا في حلقات بغـداد ومعاهدها ، وخلف آثارا يعرفها العراقيون في النحو والادب والعروض، وتخرج حافظ على أبيه وغيره من علماء العراق ، وتخرج في لبنان في جامعتها الاميركية على علماء من الشـرق وعلماء من الغرب ، وصحب عددا كبيرا من علماء لبنان وأعلامه وأدبائه يذكرونه دائما ، ويذكرهم دائما في أحاديثه وفي شعره ، في قصيدة وفاء ، أو في استعادة ذكريات شبابه الذي قضى شطرا كبيرا منه الى جوارهم • وتقلد حافظ بعـد رجوعه الى العراق عددا من المناصب في الادارة وفي التدريس ، حتى سئم الحياة الرتيبة في الوظيفة ، وضاقت به وضاق بها ، حتى أخلـد الى حياة العزلة والتأمل •

ولا شك أن سببا واحدا من تلك الاسباب يكفي لذيوع اسمه بين من لا يحصون عددا في بلاد العراق وفي بلاد الشام ، ومنهما الى حيث ينتقل الاسم في بلاد العروبة وغيرها •

كذلك لم يكن شعر حافظ جميل في حاجة الى تقديم أو تعريف، فقد عرفه الادب العربي في الربع الاول من هذا القرن العشرين شاعرا ينشد الشعر ، وينشره في النـاس ، واستطاع أن يقدم للنـاس بعض

ثمرات من نتاجه الاول قبل ثلاث وأربعين سنة ، وكان اذ ذاك في السادسة عشرة من عمره ، في ديوان سماه « الجميليات » كما سمى شاعر العصر أحمد شوقي ديوانه « الشوقيات » .

وحسبنا أن نشير الى أن الذي قدّم « الجميليات » هو العالم الكبير الاستاذ منير القاضي ، وقد تنبأ لحافظ بأنه سيكون أكبر شعراء العراق . وقد صدقت نبوءته ، فبعد أربع وثلاثين سنة قدم الاستاذ منير ديوان حافظ الثاني الذي سماه « نبض الوجدان » وهو سفر خالد في ديوان الشعر العربي الحديث ، وها هوذا اليوم يكتب الكلمة الاولى في ديوانه الثالث « اللهب المقفى » .

وأسأل الله بعد ذلك للرجلين سعة في العمر ، وخصبا في الشعر ، ومزيدا من الوفاء ، وان كان حبهما ووفاؤهما ليسا في حاجة الى مزيد !

ولست أحسب بعد هذا البيان أن « حافظ جميل » كان محتاجا الى التعريف ، أو أن شعره كان محتاجا الى التقديم ، ولكني أعتقد أن الذي حدا الشاعر الكبير الى كلمتي هو تأكيد الحب الذي اتصل بين قلبينا ، وحرصه على تخليده في أثر يحفظه الزمان ، بعد أن تطوى صحائف الاعمال ، ويبقى الأثر شاهدا على مر الايام ، واني بذلك لجد سعيد .

* * *

وبعد ، فهذا هو « اللهب المقفى » الديوان الثالث للشاعر العربي الكبير « حافظ جميل » الذي انتهت اليه فحولة الشعر بعد رواد نهضته في العصر الحديث من أمثال البارودي وصبري وشوقي وحافظ ومطران ثم الرصافي والزهاوي ، وحفظ للشعر العربي خصائصه الفنية

في المعاني الفخمة ، والديباجة المشرقة ، والموسيقى العذبة بين دعوات شتى للتحلل من القيم المأثورة لذلك الشعر من هنا وهناك • وأنا أقرأ هذا الديوان بعد عامين منذ قرأت ديوانه الثاني « نبض الوجدان » • أما « الجميليات » فلم تتح لي قراءتها ، وأفترض أنها لا تخلو ـ كما لا تخلو المحاولات الاولى ـ من مواضع للاجادة ومواضع للنقد ، وأعتبر « نبض الوجدان » الصورة المثلى لشاعرية حافظ ، بعد تمرسه بالفن الشعري ، واستحكام آلته فيه ، وتنوع تجاربه وتعمقه فيها • وكنت قد قرأت ذلـك الديوان ، وأوحت الي قراءته كلمات كتبتها في مجلـة « الرسالة » المصرية تحت عنوان « شاعرية حافظ جميل »[1] وألممت فيها ببعض الجوانب التي تفيض بها تلك الشاعرية الخصبة •

و " اللهب المقفى » عنوان صادق لمجموعة الشعر التي يشتمل عليها هذا الديوان ، كما كان « نبض الوجدان » عنوانا صادقا لمجموعة شعره السابقة ، وكل منهما صورة صادقة للشاعر تستطيع أن تقرأ فيهـا عواطفه وأحاسيسه وتجاربه في المرحلة التي سبقت اخراج كل ديوان منهما ، فان « نبض الوجدان » يجمع شعر الشباب في عنفوانه ، ويصور تلك الطاقات الهائلة من الحيوية ، ومن العواطف المشبوبة بين جوانح الشاب الفتى ومن الثورة الجامحة على ما لايرضى في الحيـاة أو في الاحياء ، ومن الاستجابة لدواعي الفتنة وأسباب الاغراء ، ومن التصريح بانتهاب اللذات ، وعدم المبالاة باللاحين ••

وأنت واجد في « نبض الوجدان » ما شئت من حماسة الشباب ،

---

(١) نشرت هذه الكلمات في أربع مقالات في مجلة « الرسالة » في ١٣ و ٢٠ و ٢٧ من أغسطس (آب) سنة ١٩٦٤ و ٣ من سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٦٤ •

وطغيان عاطفة الوطنية التي تسلك حافظا في عداد الطبقة الاولى من شعرائها ، وفي ثبات حافظ وعدم اضطرابه بين المبادىء المتباينة ، وعدم نقضه اليوم ما جهر به بالامس ، في كل ذلك ما يقدم حافظا الى صف الطليعة بين اولئك الشعراء ، فقد سخر من الطغاة وعبثهم بحقوق رعاياهم في العهد الملكي البائد ، ولم يخش غضبهم ، ولم يتق بطشهم . استمع الى شيء من حديثه الى « الطاغية في العيد »[1] :

هذي ضحاياك أكباد وأفئدة ... وأين منها ضحايا الشاء والبقر
جزرت قبل أوان النحر حافلها ... فكم تركت ليوم النحر من جزر
فانعم بأشلاء أحرار فتكت بهم ... واشرب بأجفانهم من جامد البصر
ما حدقت لك عين غير دامعة ... ولا رنا لك قلب غير منكسر
ظننت سود الليالى عنك غافلة ... فنمت عنها وظل الناس في سهر

ثم اقرأ خطابه للطاغية[2] :

يا مالك الدنيا وسيدها ... أأباح أكل العبد سيده
ومطاول بالمجد ليس له ... من قدره شرف يمجده
أستغفر الانصاف ان له ... سوداء ناصية تسوده
باغ ومن يدري لعل له ... بين البغايا من يؤيده
قاس ، ومن يدري لعل يدا ... أقسى اذا ما رق تجلده
دستوره وطن يمزقه ... وشعاره شعب يقيده

ان هذا شعر قاله حافظ جميل ، ونشره حافظ جميل في زمان البطش والطغيان ، غير مبال بما يتعرض له من انتقام الطغاة ، وهو

(١) نبض الوجدان ١٠٥ .
(٢) من قصيدته (شاعر) نبض الوجدان ٦٤ .

ذلك الرجل العف في منطقه ، الحيي في نظرته ، السمح في طبعه ، ولكن بين جنبيه قلبا يؤرقه ، وحبا لامته ووطنه ، وغيرة على المثل التي يعشقها دفعته الى تلك الثورة العارمة على الظلم والطغيان على هذا النحو من القوة والصراحة .

ولم أعثر في « نبض الوجدان » على ضخامته الا على قصيدة واحدة حاد فيها شاعرنا عن هذا السنن ، وأغمد فيها سيفه البتار الذي شهره في أكثر قصائد الديوان ، ولجأ الى تقليد ما جرى عليه كثير من المؤلفين والكتاب والشعراء من بدء تآليفهم أو دواوينهم بتحية الملوك وتحليتها برسومهم ، وهي قصيدته « لك المجد » ..

ولعل الذي ساق حافظاً الى هذا التقليد هو رغبته في تعبيد الطريق أمام ديوانه الجديد ، وحرصه على نشره وتداوله بين الناس في العراق ، ليخفي بهذا التقليد ما فيه من تمرد وثورة على وصي العراق، وعلى أعوان الاستعمار فيه ، أو لعله مظهر لعاطفة الشعوب نحو اولئك الملوك الصغار الذين لم يجرب فسادهم، ومحاولة لاجتذابهم الى صفوف شعوبهم ، والى أماني أمتهم .. ذلك ما أرجحه تفسيرا لتلك القصيدة اليتيمة في صدر « نبض الوجدان » وصورة الملك الصغير الذي نهكه المرض في أوله !

★ ★ ★

وكذلك أنت واجد في شعر الشباب الذي تقرؤه في نبض الوجدان ما شئت من الجهر بمتابعة الهوى ، والايغال فيه ، والتصريح بالانقياد لدواعيه ، والصدق في العبارة عن واقع التجربة ، من غير مبالاة بانكار المجتمع ، لانه متمرد على ذلك المجتمع الذي ترتكب فيه الكبائر ، ويظهر مرتكبوها في صورة القديسين ، ومن أمثلة ذلك قوله

في مطلع قصيدته « بداية النهاية »[1] :

هي النفس أجري في هواها كما تجري
ولا أتوخى العذر ان فاتني عـــذري
يعيب علي النـــاس سافر لـــذتي
ولم أر عيباً كاضـطراري الى الستر
أرى النــاس لا يطـــرون الا مخادعا
والا أخـــا جبن والا أخـــا مكر
وحسبك خــدعاً أن يضــام أبيّهــم
فيهمس بالشـــكوى ويهتف بالشـكر
وما شانني في النــاس كالجهر بالهوى
كأن الهــوى مما يشـــين وما يزري
ولـــولا دموع للـــرزايا حبستهـــا
لواصلت لـــذاتي مواصلة الـــدهر

وقوله في قصيدته التي أسماها « رائعة »[2] :

حسبي وحسبك يا (مليحة) في التعاتب من جدال
لا تسأليني عن ظـروف تهتــكي وعن ابتـــذالي
لا تسأليني كيف آثرت الحرام عـــلى الحـــلال
لا تسأليني عن مدى وجـــدي وصبري واحتمالي

---

(١) نبض الوجدان ١٨٧ .
(٢) نبض الوجدان ٢٣٤ .

فلأنت جد عليمة بالرد عن هذا السؤال
أنا مثلما وقفت حيالك عقدة وقفت حيالي

فأنت واجد في هذين النموذجين من حدة الانفعال ، والتأثر بالتجربة ، وصراحة الشباب في انقيادهم لدواعي الهوى ، وفي استسلامهم لمطاياه ، وفي التعبير السافر ، ما وجدت في وطنياته الثائرة ، ولكنك على الرغم من هذه الصراحة التي تجدها ، والحرارة التي تحسها لن تجد في هذا الشعر كثيرا أو قليلا مما يخدش الحياء من التعابير المكشوفة ، أو الالفاظ النابية التي تنفر منها الأذواق ، من أمثال ما يشيع في أدب مقارفي اللذات وواصفيها في سائر العصور • هذا مع أن حافظ جميل من أكبر أشياع المدرسة النواسية في الشعر العربي الحديث •

★ ★ ★

وحافظ جميل في « نبض الوجدان » هو حافظ جميل في « اللهب المقفى » بحسّه المرهف ، وبعاطفته الجياشة ، وبصدق تعبيره عن تجاربه الحلوة وتجاربه المرّة أيضاً ، ولا أستطيع أن أقول مطرياً انني وجدت في شعره الجديد في « اللهب المقفى » بعد تسع سنوات ما لم أجده في نبض الوجدان ، ففي كلا الديوانين نبضات حسّ مرهف ، لم تصدر عن الشاعر ألفاظا ضخاماً ، وأجراساً موسيقية مطربة أو مشجية فحسب ، ولكنها تجارب عميقة أشعلت قلبه الذي بين جنبيه ، فكانت تلك الالفاظ القوية بايحائها وموسيقاها أصداءً لاصلها المحتدم في حياته وفي أعماق نفسه •

وقد يقال ان حافظ جميل قد بلغ مرحلة التطامن الذي تنكسر

فيه حدّة الشباب ، وتضعف فيه نوازعه أو تزول ، وذلك ان كان يصدق على كثير من الشعراء الذين يلين شعرهم بلين عواطفهم اذا تقدمت بهم السنون ، أو زالت دوافع الشعر ودواعيه عندهم ، فانه ليس كذلك عند حافظ جميل ، لان شعره ليس شعر المناسبات ، وان بدا أثر المناسبات في بعض العناوين التي يتخيرها لقصائده ، أو المناسبات التي ينشدها فيها ، فان تلك المناسبات عند حافظ جميل ليست سوى فرص ينتهزها للتعبير عن نفسه والبوح بمكنون عواطفه ومخزون رأيه ، وتكشف النقاب عن المستور من معتقده .

خذ مثلاً قصيدته « تحية الشعر » التي ألقاها في مهرجان الشعر في بغداد في العام الماضي ، وقد كان حافظ فيها لسان العراق المنطلق في يوم المهرجان للترحيب بوفود البلاد العربية من الشعراء والكتاب ، وانظر حظ التحية التي جعلها عنوانا للقصيدة أو حظ الترحيب وهو المناسبة الداعية للانشاد ، تجده قد غاض واختفى بين حشد العواطف والذكريات نحو بغداد وأمجادها وتاريخها القديم والحديث وفي مطلعها[1] :

أضياف بغداد هذا وجه بغداد
صحائف من بطولات وأمجاد
ما حبّر الدهر تأريخاً كأسطرها
في لوح خلد ولا في سفر آباد
في كل صدر كتاب من روائعها
يتلى وفي كل ثغر حلو انشاد

---

(١) اللهب المقفى ٧٠ .

هاتوا الصحائف من عزّ ومن حسب
ان كنّ أندادها أو شبه أنداد
ارث العباقرة الافذاذ ان وقفوا
بين الجبابر كانوا ثم أطواد

وعلى هذا النحو من التغنّي ببغداد والاشادة بأمجادها التي ملكت على الشاعر قلبه ، كما ملك تأريخها قلوب العرب والمسلمين في كل مكان ، يمضي الشاعر في حديث الخلافة وقوتها ، ومجد السيف ومجد الادب ، والعدل والجور ، وفي وصف ممتع لبغداد ونهر دجلة، ثم في حديث الى الشباب أمل العراق المرتقب ، كل ذلك في آية من آيات الفن الخالد ، الذي يجمع ذكريات الماضي الى واقع الحاضر الى أمل المستقبل ، وهي صورة لاستغراق الشاعر في تجربته ، وفي تعبيره عما يجيش بنفسه نحو بلده الذي لا يفتأ يذكره في الرائع الغالي من شعره ، ثم تبحث عن تحية الشعر لأضياف بغداد ، فلا تجد لهم ذكراً الا في أول نداء « أضياف بغداد هذا وجه بغداد » ثم حين يصحو بعد جولة التاريخ ليقول لهم :

أضياف بغداد أوجزتم زيارتكم
عدوا بطول زيارات وترداد
طوفوا ببغداد لا يلهب مشاعركم
ما شاقكم من حديث الرائح الغادي
واستعرضوا وجه ماضيها وحاضرها
بما شهدتم وكونوا خير أشهاد

وعلى ذكر بغداد ، والمناسبات في شعر حافظ ، لابد من الاشارة الى خريدته الكبرى ، وهي قصيدته « بغداد » التي جعلها رأساً لهذا الديوان ، وقد أنشدها في مهرجان الكندي سنة ١٩٦٢ ، ومطلعها :

كفى سؤدداً ان يستهل بك العهد　　وحسبك يا بغداد ما رسم الخلد

وقد طوّف فيها بتاريخ بغداد في ازدهاره وفي اعتكاره ، وأشار الى الاحداث الكبار التي ألمت بها ، وذكر أقطابها في الدين والخلافة والسياسة والفن والشعر والحكمة . وهذه القصيدة أشبه ما تكون بخريدة شوقي التي جعلها مفتتح شعره في « الشوقيات » وسماها « كبار الحوادث في وادي النيل » وتحدث فيها عن تاريخ مصر في زمان الفراعين وتحت ظلال العرب والمسلمين ، ولا سبيل الى الموازنة بين القصيدتين في هذا المقام .

وأحر بحافظ أن يمجد بلده هذا التمجيد ، وأن تحتل بغداد من ديوانه مقام الصدارة ، وأن يقول في أخرياتها :

لغيرك يا بغداد لم يهف جانحي　　ولا شاقني في غير ظلك أن أشدو
ولا طاب لي في غير دجلة مرتع　　ولا لذّ لي في غير شاطئها الورد
اذا حلّ بي ضيم فعفتك مكرها　　رجعت وأدهى الضيم ما ضامني البعد
وكيف اصطباري عن حنان ربيبة　　سريراي في أحضانها القبر والمهد

وان كانت بغداد تجد في لبنان منافسا خطيرا ، كما سنرى عند الاشارة الى لبنانياته .. وتبحث عن الكندي في قصيدة الكندي تجده قد ضاع في موكب الفلاسفة من العرب والمسلمين لتبقى بغداد التي ملكت على شاعرنا قلبه ولبّه !

ولذلك تفوت المناسبات ، ويبقى هذا الشعر النابع من القلب ، تجد النفس لذتها في قراءته ومتعتها في استعادته في كل أوان ، وهذا هو الشعر الخالد الجدير برواية الاجيال ، وينشد حافظ مع الشاعر القديم :

انى اذا قلت شعرا مات قائله ومن يقال له والشعر لم يمت !

★ ★ ★

وحافظ جميل على الرغم من حياة العزلة التي يحياها والتي أشرت اليها فيما سبق يعيش هذه الحياة بطولها وعرضها فيما يقرأ وفيما يسمع وفيما يعيش معه من ذكريات الشباب التي لا ينساها ، وهو من أوفى الناس لذكرياته ، وان تباعدت مواطنها ، وان أشاحت عنه أشباح أصحابها فليس غريبا أن يظل وجدانه ينبض ، بل أن يتحول هذا النبض لهبا كلما تقدمت السنون ، وقد تكون الثمالة أعز ما في الكأس ، وعلى ذلك يكون «اللهب المقفى» أثرا من آثار اشتعال الذكريات بين حنايا الشاعر ، وهي ذكريات غنية استطاعت أن تملأ هذا الديوان شعرا وأفكارا وعواطف ، وتستطيع أن تملأ بعده دواوين ، بل ربما كان التهاب الذكريات أشد اشتعالاً من وميض الواقع الذى ينال فيه القادر ما يتشهّى !

وأحسب الدليل واضحاً في قصائد الغزل المبثوثة في هذا الديوان وكلها قصائد ذكريات فيما أرى ، وأولها قصيدته « أطياف » ثالثة قصائد هذا الديوان ، وفيها استغراق في استعادة صورة من صور الهوى الغابر ، كقوله فيها :

هل عرف الناس وهل آنسوا راحاً من الحبّ كراحينا ؟
راحاً اذا جالت بأرواحنا صبّحن في سكر ومسّينا

راحاً ولا كالروح في لطفها ... أسرت الى الخلد بروحينا
لفّت ذراعينا على ضمة ... كأنها تلحم شطرينا
اذا ارتوت من ريقة ريقة ... أظمأها حرّ عناقينا
أو تعبت من شمة شمة ... أنعشها طول اشتياقينا
أو ثملت من قبلة قبلة ... حامت فحطت فوق ثغرينا
واضطرمت أنفاسنا جذوة ... تحرق اذ تحرق خدينا
وارتعشت أوصالنا نشوة ... نحسها بين ضلوعينا
نخشى مغبات هوى فاضح ... فنجعل الصمت حوارينا

الى أن يقول :

لعلّ ما ننفثه من أسى ... يأسو قليلا من جراحينا
واحسرتا نندب طول المدى ... أطياف لذات تواريـنا

أرأيت لو أن حافظا صوّر هذه الصورة في أوانها ، أكان يستطيع أن يزيد في ألوانها شيئاً ، أحسب أنه كان غير مستطيع أن يستجمع هذه الالوان في واقعها المحسّ ، ولكنها تجمعت واستقرت في عقله الباطن ، في عالم اللاشعور ، اذ زالت من عالم الحس أو عالم الواقع ، ثم قفزت الى ذهنه ، وانطلقت شاعريته تعبر عنها هذا التعبير المستقصى الدقيق ، بل اني لأحسب أنّ الثمل غير مستطيع أن يصف حاله الا اذا صحا من سكرته وأفاق من نشوته !

والتجربة نفسها ، أو محاولة اعادة التجربة بعد عشرين عاماً ، في قصيدته « بعد اللقاء » وهي من تجارب لبنان ، وما أكثر ما وعت ذاكرة حافظ من ذكريات لبنان :

واحتوانا جنح الدجى فاختلينا خلوة لا تتاح للنساك

وسمرنا وليس غير شجوني من حديث وليس غير جواك

واعتنقنا وقد تبلل خدي يا لخد منديله خدّاك

وسجا الليل غير نجوى عشيق لعشيق وبث شاك لشاك

ثم امعان في وصف ما كان ، كما كان في قصيدة الأطياف ! وبعدها ثورة الغيرة ، حين يرى « وفاء » وقد تنكرت لحبّها القديم ، خشية أن يحسّه صيدها الجديد :

ولم السخط ان جعلتك قربي وسهونا فمسّ ردني رداكِ ؟

ولم الذعر ان نأى بك عني ورآني وراءه ووراك ؟

وهل الحب أن أموت وأحيا بين اشفاقه وبين رضاك ؟

وهل الحب أن أجامل خصمي وأهنّيه في سبيل هناك ؟

وندع هذا الغزل ، غزل الشباب ، الذي أودعه الشاعر صفة تجاربه التي لا ينساها ، الى غزل الاكتهال ، ولا أقول الشيخوخة ، فان فيه نغمة الصفاء الجديرة بالسن التي بلغها شاعرنا الكبير ، وذلك غزله في « آمال » التي نراها في عدد من قصائد هذا الديوان ، ومنها «نجوى» ص ١٣٢ وقصيدته « في سطور » ص ١٤١ ، وفي الأولى أثر الحبّ الصادق الذي يختلف كثيراً عن هوى اللذة الذي رأيناه فيما سبق ، فقد حال جمالها عنده معاني ، وصارت مفاتنها أفكاراً مجردة ، وان بدت في صورة محسّات هي في الحقيقة رموز لتلك المعاني :

ما افترّ لي وجهك عن حسنه الا تدلّهت بمعناك

من أين للخمرة هذا الجنى يملأ من فغوته فاك

من أين للزهرة هذا الشذا ان نفحت بالطيب ريّاك
من أين للؤلؤ هذا السّنى يلمع من غرّ ثناياك

والشاعر نفسه يعرف حبها الطاهر العذري كما يعرف حبه اياها ، بل انه يحبها ويحب أباها ، بل ربما كان حبها نتيجة لصداقته لأبيها :

(آمال) ما أعذبها لفظة تنعش آمال معناك
ما وقعت عيني على خلة فيك ولم تعشق سجاياك
قلبي فدى قلبك من طاهر سيماه في ظاهر سيماك
سلي أباك البرّ وليبق لي فمثلما أهواه أهواك
سليه من أوحى الى قلبه أنك آمالي فسمّاك ؟

وفي الأخرى « في سطور » وصف مثير للفاكهة المحرمة ، أو لآمال في تيهها ودلّها ، وهي تروح وتغدو بين عيني الشاعر الذي يسرع الى الستين !

وأذكر أنني سألت حافظا ذات مساء ، ونحن في بيته الأنيق ، يمتعنا بهذا الشعر العذب الرقيق عن غايته من هذا الشعر الحار الفياض بالعاطفة الذي يبدو فيه أثر الانفعال بالتجربة ، ولا تبدو فيه آثار للصنعة والتكلف ، وكان مما قال : « وماذا تريد مني بعد أن وصلت الى السن التي لا تحبّب الي الحياة بغير حبّ ، أو على الاقل التمتع بجمال الحياة ، والاطمئنان الى أن نفسي لا تزال عامرة بالحب ، الا أن أقول مثل هذا الشعر لأبدّد شيئاً من آلامي ، وأفرح باستعادة ذكريات شبابي ، لاسيّما اذا أتيح لي جوّ أستطيع فيه أن أكشف عن أحاسيسي بصدق واخلاص ، قال شوقي :

قد كان فيك لودّهنّ بقية   واليوم أوشكت البقية تنفد

فاسمح لي أن أحتفظ بهذه البقية قبل ان تنفد » !

قلت له : « هذا فيما يتصل بك .. فما أمل ذلك الذي أحسست عاطفته نحوك » ؟ فأجاب : « لقد أثبتت لي قصائدي في هذا الباب أنها ألهبت عواطف من أغنى بهنّ ، وأنشد لهنّ هذا الشعر ، ان الكثيرات كنّ معجبات بشعري كما لو كنت شابا بعد ! بل اني وجدت من بعضهن تجاوبا عاطفيا يكاد يصل الى مرتبة الحب » !

ويضيف حافظ : « لا أزال احتفظ بروح الشباب ، واذا رأيت صورة حبيبين رأيتني فيها .. » .

* * *

وندع شعر الحبّ ، شعر العاطفة الصادقة ، الى اللون الذي يجيء أولا في شعر حافظ ، وهو فيه أكثر تبريزاً ، لانه به أكثر ولوعاً ، وهو الشعر المقدّم عنده ، وأعنى به الخمر التي عنى حافظ بوصفها ، ولم يخف هيامه بها ، بل يعدّ الحياة بدونها عبئا لا يطيقه :

أي عبء عليك هذا النهار   لا ندامى به ولا سمّارُ
أجمال الحياة غير نديم   تصطفيه وغير كأس تدارُ
وحبيب اذا تنفس هبّت   من نواحيه نسمة معطارُ
ولبئس النهار ان هامت النفس   فلا حانة ولا خمّارُ(١)

والخمر في هذا الديوان أسعد حظا من سائر الفنون التي عنى بها شاعرنا ، وبين قصائد هذا الديوان أربع من القصائد الجياد في

---

(١) من قصيدته (شاعر وعقار) ١٥٠ .

الخمريات يحلّق فيها حافظ الى القمة ، وهي قصائد خالصة لوصف الخمر ومجلسها وكأسه التي لا يملّها ، وهي قصائده : مع الراح (٤٩) وكأسي (٩١) وشاعر وعقار (١٥٠) وخمر وسهر (١٥٤) . وقد أخلص حافظ تلك القصائد لذلك الفنّ ، عدا ما تناثر من وصفها في ثنايا قصائده الوصفية وقصائده الوجدانية .

وفي تلك القصائد تتكامل الشخصية الخمرية بكل جوانبها ومقوماتها ، بل ان معالم هذه الشخصية تتكامل في كل واحدة منها على انفراد ، فهو لا يطيق ساعة تنقضي من عمره من غير الراح والأنس بها ، ولا يعد تلك الساعة من يومه ولا غده ولا أمسه ، بل يعدّها مبتوتة من عمره :

تبّاً لعمري ان مضت ساعة ... منه بلا راح ولا أنس
لا تلك من يومي ولا من غدي ... حتى ولا المقبور من أمسي
حسبي هياماً فيك أن أجتلي ... مرآك ما أصبح أو أمسى
وأزدري الدنيا وما خبأت ... لي في غد من طالع نحس

ولا نعرف على وجه التحديد الظروف التي دعت حافظا الى الولوع بالراح ، والهيام بالكأس ، حتى استبدّت به ، وجعلته واحداً من ألافها ، وعلما من أعلام مطربها وواصفيها في سائر العصور ، وان كنا نرى في شعره دلائل الهيام المبكّر بها الذي يرجع الى أول عهده بالشباب ، بل الى ما يسبقه من أيام الصبّا ، انه يذكر في أكثر من موضع أنه واصلها خمسين ففي قصيدته « خمر وسهر » يقول :

وفيت يا راح فلا تغدري ... ما دمت في حبّك لم أكفر

أفنيت عمري فيك لم أفترق عنك ولم أسأم ولم أضجر
زيّنت لي السكر ولذاته حتى انقضى العمر ولم أشعر
خمسون لم أعرف بها ليلة فارقتني فيها ولم أذكر

وفي قصيدته « كأسي » يقول :

يا لك من بيضاء حببتِ لي حتى بياض الشيب في رأسي
واصلتني الخمسين لم تضجري والغيد يضجرن من الخمس

وقد تكون الخمسون من مبالغات الشعر ، بل هي لاشك كذلك ، والاعداد لاتعني مدلولاتها المحدودة في عالم الشعر والفن ، وانما تعني الكثرة والاتصال ، كما يقول في قصيدته « مع الراح » :

عكفت الدهر أجزيها عناقا وتقبيلا وشمّا واحتساءَ
أواصلها كما يسعى تقيّ لمسجده صباحاً أو مساءَ
ولو أدى كتأديتي صلاة بموعدها لما صلّى قضاءَ
وهل سيّان من أدّى فأوفى ومن أدّى فأوجزها أداءَ

وهي مقابلة طريفة ، تؤكد حرصه عليها ، ووفاءه لها ، بحيث لا يدانيه في الحرص والوفاء للشراب حرص ذوي الورع على صلواتهم !

وفي شعر حافظ ملامح من فلسفة أبي العلاء وتشاؤمه من الحياة ، ومن المجتمع الذي عبّر حافظ كثيرا عن علله وآفاته وعن مصارع الأخلاق فيه • وقد أخفى ذلك التشاؤم عن الشاعر كثيرا من مفاتن الحياة ومباهجها على الرغم من احتفاله بها ، وعبّه منها ، وهذا هو

الفرق بين حافظ وأبي العلاء ، فان أبا العلاء قد زاول تلك الفلسفة نظرا في كلامه وفي شعره ، كما زاولها سلوكا في حياته وزهادته وصدوفه عن الدنيا التي عدّ وجوده بها جناية عليه .. أما حافظ فانه يجسّد معالم الشر ، ولا يجد لنفسه ملاذاً الا في أحضان الكأس تذهب في ومضاتها أشجانه ، وتذوب في رشفاتها همومه ، استمع اليه :

ألا ما كان أعظمني شقاءَ وأكثرني بلا سكر عناءَ
وأنزلني على أحكام دهر قضى ألاّ أرد له قضاءَ
وهل كالراح من تلقاه عوناً على البلوى ودرعاً واتقاءَ
وهل كالراح من محمود عقبى لمن ساءت عواقبه وساءَ
لئن عانيت صرعتها طويلا كفاني أن وجدت بها العزاءَ
وكم في زحمة الآلام صاح رأى في سكرة الموت انتشاءَ
نظرت فلم أجد كالراح طبا لمن فقد الطبابة والدواءَ
جزاها الله كم غماء حزن جلت عني وكم بعثت رجاءَ
وكم ناديتها لعصيب يوم فما برمت ولا ردّت نداء

واستمع اليه في قصيدة « كأسي » يقول :

كم غمة باللهو فرّجتها تستنفر الموتى من الرمس
وأي رجس هو أن تحتمي من جور أيامك بالكأس
يا حبّذا الرجس اذا لم يكن بدّ لدنياك من الرجس

هذه الآلام عند حافظ مدعاة عكوفه على الخمر ، وهي التي دفعته كما دفعت غيره من هواتها الى الفرار من الواقع المرّ ، والتحليق في

أودية الخيال ، وتعمد البعد عن عالم الوعي والشعور الى حيث يظنون المتعة والسلوى في صحبة الراح ، وفي مجالس الأنس والطرب .

* * *

ولكن أين هي الآلام في حياة حافظ ؟ انّ تلك الآلام لا يمكن أن تكون آلام الحاجة أو العدم التي كست شعر المعدمين مسحة من الألم والكآبة ، فقد عرفته صاحب سيّارة فخمة ومنزل أنيق يحيا حياة الموسرين الذين لا يقترون على أنفسهم ، ولا على المتصلين بهم ، وعرفته يبرح بغداد في شهور الصيف، فراراً من حرها اللافح الى حيث يطيب له المقام في لبنان وفي غير لبنان ، وهناك يحيا حياة الترف الخصيب ، ويعيش عيشة ناعمة ، ومثل ذلك يستعصى على الفقراء وعلى أوساط الناس .

لابد أن تكون تلك الآلام آلاماً نفسية ، ورواسب كامنة في أعماق نفسه الشاعرة ، وقد حاولت أن أعرفها من شعره ، فعزّ عليّ طلابها ، وحافظ نفسه يقرر ان الاجابة على هذا السؤال صعبة للغاية ، ولكنه مع هذه الصعوبة يقول انه يستطيع أن يردهذه الآلام الى أنه فقد أمه وهو في دور الفطام ، وان أباه لم يجد مندوحة عن أن يكل أمر تربيته ورعايته الى زوجته الثانية ، وهي خالته . ويقول حافظ ان تصرفها معه لم يخل في أكثر الأحايين من شدة وعنف كان لهما الأثر البليغ في نفسيته وفي احساسه منذ الطفولة .. والى الحبّ الذي كاد يطفىء شعلة حياته ، فقد وقع كما يقول « في سلسلة حب طويلة عريضة ، بدأت منذ سن المراهقة ، ولما تنته حتى الآن، يقول: كنت أطوي صفحة حبّ مؤلمة ، لأعود فأفتح صفحة أخرى جديدة أشد منها قسوة وألما ، وحسبي أن أخاطب

قلبي في مثل هذا المعنى ، فأقول من قصيدة « تحت الدخان » :

يا قلب حذرك من ضعيف وادع ان شام فيك وداعة لم يرحم
أئذا شكوتك قسوة من ظالم قيضت لي أضعافها من أظلم

•• ثلاثون سنة أو يزيد لم يخل فيها قلبي من الحبّ لحظة واحدة •• انها قصة حبّ متصلة غير مفرغة الحلقات ، أبطالها عشرات النساء ، وأنا القائل :

أروح ولي فيهن ألف خليلة وما كان من مثلي ليقنع بالعشر
اذا انفلتت مني لهن ابتسامة تهلّل حتى باطن الوجه بالبشر
وان بتَّ قلبي حبلهنّ تعلقت به ألف خنساء تنوح على صخر »

قلت في نفسي : أيّ حبّ هذا ؟ ما أشبه صاحبنا بعمر بن أبي ربيعة ! ويستطرد حافظ في ذكر دوافع آلامه وهمومه التي لا يفتأ يذكرها في شعره ، ويتخذها ذريعة لخمره ، فيقول « هناك سبب ثالث ، هو الطريقة التي كنت أحد ضحاياها بين أكثر الأولاد الذين يبعث بهم آباؤهم وذووهم آنذاك الى «الملاّ»(١) ليتعلموا مبادىء القراءة والكتابة ، فكثيراً ما كنت استيقظ من نومي في منتصف الليل مذعوراً أرتجف ، وخيال « الملاّ » ماثل أمامي ، وهو يحاول أن ينقض بعصاه الغليظة على لحمي ليشويه شيّاً » قال : « وكنت أكاشف خالتي بهذه الآلام المبرّحة التي تكاد تقضي عليّ ، فلا أجد منها غير الشماتة والرضا •• أمّا أبي فلم يعوّدني الجرأة في عرض مثل هذه الأمور عليه ، وكان خوفي من سخطه اذا ما شكوت له تصرّف « الملاّ » ـ وهو في نظره

---

(١) الملا عند أهل العراق معلم الصبيان في الكتاب •

المعلم والمؤدب والمربي" ـ هو الذي يمنعني من أن أتقدم اليه بمثل هذه الشكوى » !

هذه هي الرواسب القديمة والذكريات الاليمة التي يفسر بها شاعرنا همومه وآلامه ، ولكننا لا نجد لهذه الذكريات ـ ذكريات خالته القاسية ، وذكريات الملا صاحب العصا ـ أثرا في شعر حافظ فيما قرأته له في « نبض الوجدان » ، أو في « اللهب المقفى » .. ولعله يريد أن يقبر هذه الذكريات بالفرار من شبحها الرهيب ، وان كنت أعتقد أنها أمور هينة ، لا تكون بهذه الدرجة التي تكون عقدا مستحكمة في قرارة النفس ، ورواسب لا تزول من أعماقها ، فهي تجارب يمر بها من لا يحصى من الناس ، وسرعان ما تزول آثارها بانقضاء أسبابها .

ولكن الذي أحسه أن في حياة حافظ فراغاً ، لم يستطع أن يملأه في قلب حافظ عشرات الأصدقاء ، ولا عشرات النساء .. وذلك ما لم أعرفه ، وأعتقد أنه لا يعرفه الا حافظ نفسه ، والا الله علام الغيوب !

وربما كان سر هذه الهموم ومبعث تلك الآلام أن حافظ جميل لم يستطع أن ينال ما كان يراه جديرا به من المناصب التي يتطلع اليها أمثاله ، والتي ظفر بها كثيرون ممن لم يكن لهم ما لحافظ من الثقافة والذكاء ، فقد حصل من علم العراق كثيرا مما يستطاع ، وحصل في لبنان أقصى ما يستطاع فقد نال درجة البكالوريوس في العلوم من جامعتها الاميريكية سنة ١٩٢٩ وهذا كثير في ذلك الزمن المبكر من تاريخ العراق الحديث ، ثم يعود الى العراق ليعين مدرسا للغة العربية في المدرسة الثانوية ببغداد ، ولا يلبث قليلا حتى ينقل الى البصرة لقصيدة أنشدها ولم تعجب حكام البلاد اذ ذاك ، فيضطر الى الاستقالة ،

ثم يعاد تعيينه موظفا في الضرائب ، ثم في غيرها حتى يستقيل نهائيا من تلك الوظائف التي لا تناسب ثقافته ولا كفايته ولا طموحه ، وقد رأى الذين من دونه كفاية يصلون الى أرقى المناصب حتى منصب الوزارة بأسباب ليس منها المعرفة ولا الكفاية . انني أجد صدى الألم العميق الذي كان يحسه حافظ من جراء ذلك في قصيدته « نسر الشباب » ١٧٠ وهي التي وجهها الى صديقه جميل عبدالوهاب حينما ولي وزارة المواصلات سنة ١٩٤٥ وفيها يبثه لواعج أحزانه ، وينفس فيها عن الألم الكمين في قرارة نفسه ؛ اذ يقول :

حسبُ المناصب أن تسام رخيصة ... للراغبين ، وأين من لم يرغب ؟
لو كنت أملك خِسّة لشريتها ... وجعلتها سندي وباب تكسبي
أترى أفوز ولو بطيف خيالها ... يا بُعد ما حاولت من متطلَّب
من أين لي شرف الشمول بلطفها ... مادمت لا عمّي الوزير ولا أبي ؟
فضل الحصافة والثقافة والحجى ... من دونه فضل القريب الأنسب
وأخو الكفاءة من يكون منافقا ... أو خائنا أو طائفيّ المذهب

أعتقد أن هذا السخط الذي أدى بشاعرنا الى اليأس كان له أبعد الأثر في حياته الحزينة التي يحاول دائما أن يفر منها الى الكَأس أوفَى أصدقائه ، وأخلص أوفيائه .. وفي هذا الشعر الخمري الذي كسب منه الأدب الحديث ثروة فنية لا تقدر ، من عاشقها المستهام التي ملأت فراغ حياته ، كما ملأت عروقه وصدره :

مزرت لعابها فسرى بجسمي ... يروّى فيه أحشاي الظماءَ
وجاوزهنّ فامتلأت عروقي ... وكاد البعض ينفجر امتلاءَ

كأني ما هممت بـه ليبقـى بجسمي قيد انمـلة خـلاء
فلو عصر السقاة دمـي ولحمـي تعذّر أن يروا في الخمر مـاء
عجبت وما عجبت لغير صـدري أخمـراً مـا تنفس أم هـواء !

ومع كل هذا الاستغراق في تجربة الخمر ، والاغراق في نعتها ، لم تستطع الخمر أن تزعزع ايمان شاعرنا بربه ودينه ، فلم يشربهـا كافرا ، ولم ينعتها جاحدا ، ولم ينكر أنها معصية ، بل هو يضرع الى الله دائما أن يغفرها له ، ما دام لم يقو على مجاهدتها :

ليدّع الناسـك ما يدّعـى وليـزدر الصالح ما يـزدرى
يا راح ، جلّ الله مـن غافـر ذنـبَ عظيـم الذنب مستغفر

ويعترف أنها أم الكبائر بما تزين من المعـاصي والآثام التي تستذرف عبرات الندم والحسرة على ما فرط في جنب الله :

فلولا الـراح ما عالجت سقما . . . .
ولا قـارفت معصيـة واثمـا ولم أهـرع الى الله التجـاء
ولا رقرقت في الخلوات دمعـاً بعثت بـه الى ربـي دعـاء

* * *

وفي « اللهب المقفى » عدد من القصائد المخلصة للدعاء والتوبة والاستغفار ، وكلهـا آيات ايمان عميق بالله واليوم الآخـر والبعث والجزاء ، لا يدع مجالا للشك في سلامة معتقده ، واقراره بالذنب ، وشعره فيها أشبه بأشعار الصوفية المتبتلين ، ومنه في قصيدته « دعاء » :

ما اقتربت مـن أجلي ساعـة الا تخيّـلت عقوباتـي

من كان يرجو وصاله ، ومن أجود هذا الشعر قصيدته « ولى الشباب ـ ص ١٢٩ » وفي مطلعها يقول :

لا تبتئس ان جار دهرك ... ونعاك في الخمسين عمرك
ولّى الشباب ولم يدع ... لك بعده شيئاً يسرّك
قد كنت تسحر ان رنوت ... فأين منك الآن سحرك ؟
أين افترارك كالربيع ... اذا تبسّم ؟ أين عطرك ؟

ثم يستطرد الى موازنات تفيض بالوجد والأسى بين عهد الشباب الذي ولى وما هو فيه من أسى الذكريات التي أخذت تتضاءل وتتلاشى بين عينيه .

* * *

ثم « لبنان » .. ولا أعرف شاعرا عربيا من غير لبنان ، أبدع فيه ما أبدع حافظ جميل الذي خصه في هذا الديوان بقصائد ، هي في الحقيقة قلائد في جيد لبنان ، نظم دررها ورصع جواهرها حافظ جميل بكل ما أوتي من براعة ، وما وهب من شاعرية ، وفي طليعة تلك الدرر قصيدته « لبنان ـ ص ٨٢ » ومطلعها :

ذر الدمع الملحّ يزيد وكْفا ... فما لك غير لبنان وتشفى
صبرت ولات مصطبر لنضو ... أطلّ على منيته وأشفى
بلوت الحادبين عليك طرّا ... فلم تظفر بأندى منه عطفا
أظلك في الشباب فكان وكنا ... وحاطك في المشيب فكان كهفا

وفي واحد وستين بيتا من هذا الطراز الفريد في الوصف ، العالى في أسلوب النظم وفي لغة الشعر يحلق حافظ في آفاق الشاعرية حتى

ويلي من الحشر وأهواله ... ان نشرت سود صحيفاتي
ويلي من الله اذا لم يتب ... عليّ في أحرج ساعاتي
يا دعوة التائب مَن شافعي ... عند محيط بالشفاعات
هبكِ تشفّعتِ فمن ضامن ... أني من النار بمنجاة
وأي جدوى لي من شافع ... ان كره الله ملاقاتي
يا دعوة التائب لا تقنطي ... فالله أدرى بالسريرات

وقوله في قصيدته « من الاك يا ربي » يناجي الله مناجاة المؤمنين ، مقرا بغوايته ، مؤكدا سلامة طويته وصحة معتقده :

لئن كنت على غيّ ... مع الغاوين من صحبي
فما كنت ولا كان ... عدوّ الله من حزبي
يقيني فيك ملء النفـ ... ـس في صحوي وفي شربي
ومن غيرك من يعلم ... بي يا عالم الغيب ؟
عبدتك غير مرتاب ... وهل في الحق من ريب !

وتتكرر نفحات الايمان ومعاني الصفاء في قصيدته « استغفار ـ ص١٣٩ » وفي غيرها من القصائد .

* * *

وحافظ جميل الذي قضى شبابه بين مسرات الحياة ، وأسام سرح اللهو في أفيائها أجدر الناس بالأسى حين يتولى ذلك الشباب بمباهجه ، ومن الطبيعي أن يستثيره هذا الرواح ، فيقرض في بكاء الشباب الشعر الصادق العذب الذي يفيض باللوعة لفقده . ومثله من يبكي الشباب ، ويبكي مسراته الذاهبة ، وقد وهن العظم ، وزهد فيه

يجاوز مداها بناء وأداء ، ومعنى وعاطفة ووصفا ، حتى أستطيع أن أقول في غير مجاملة لحافظ ، وفي غير انتقاص لقصائده الأخر ، انها أبدع قصائد الديوان ، وأنها لا تعدلها خريدة من خرائده .. لقد ملك لبنان قلب حافظ وعواطفه ، وعاش فيه أخصب فترات حياته ، شبابا وعافية وتحصيلا وصداقة وحبا في جوه الطلق ، وفي طبيعته الفاتنة ، وله فيه ذكريات عميقة ، تستحثه دائما على مواصلة الحب ، وعلى شد الرحال اليه في كل صيف ، ومن هنا التهبت عواطفه ، وتفجر منها هذا الشعر الرائع الخالد الذي يرفع حافظا الى درجة الفحول ، استمع اليه في هذه الأبيات :

خلوت أعدّ من صفحات عمري ... سنى لذاتها حرفا فحرفا
فلم أذكر من الخمسين منها ... سوى خمس تقضت فيك طيفا
ولو كتبت بأرضك لي حياة ... رضيت بنصفها وتركت نصفا
فما دنياي بعدك لي بعمر ... ولو عمرت بعد الألف ألفا
تنسّك في حنيف هواك قلبي ... فعاف لذائذ الدنيا وعفّا
أراني حيث سرت أرى ضبابا ... سدلت به على عيني سجفا
وأحيا منك في وطني غريباً ... كأني قد نزلت عليه ضيفاً

وأدع لقارىء هذه القصيدة أن يتنقل بين هذه العواطف الثرة ، والذكريات الخالدة ، والأوصاف الممتعة ، ليجني بنفسه تلك القطاف ، ويعيش لحظات مع تلك النغمات التي تطرب وتشجي ، والتي يباهي بها لبنان ، كما يباهي بها أدبنا الحديث ، ولا أحسبه بعدها في حاجة الى مزيد !

* * *

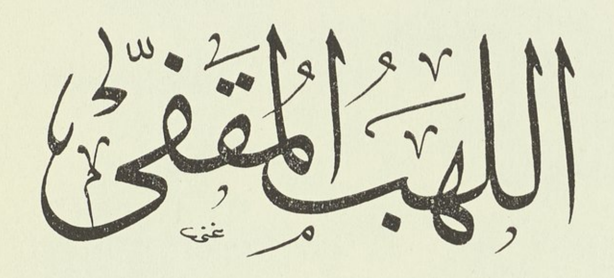
وقبل أن أثني عنان القلم أحب أن أقول ان شاعرنا لم تبهره دعوات الخروج على المأثور من أوزان الشعر ونظام القوافي ، وأنه استطاع أن يضمن هذه القوالب ما شاء من العواطف والاحاسيس التي يتدفق تيارها في كل قصيدة من قصائد هذا الديوان ، ولم تعي تلك القوالب بصورة من صوره ومعانيه الواقعية أو الخيالية ، ولم تستطع أن تحد من القدرة على سماحة الأداء مع الحفاظ على رصانة الشعر وقوة أسره وجزالة أسلوبه .

* * *

وأخيرا ، فلعلي استطعت في هذه الصفحات أن ألقى بعض الأضواء على شاعرية حافظ جميل ، وعلى ما يزخر به هذا الديوان من شعر العاطفة والوجدان الذي يعد شاعرنا في طليعة أعلامه المبدعين .

واذا لاحظ القارىء شيئا من الطول في هذه الكلمات ، فان مرد هذا الطول الى طول صحبتي لهذا الشعر ، واستمتاعي به ، ومحاولة الفحص عن دوافعه ومراميه ، واعتقادي أن حاجة القارىء الى الاشارة الكاشفة والى التفسير الموضح أهم من حاجة الشاعر الى مجاملة الصديق . والله ولي التوفيق .

بغداد ٢٢/٥/١٩٦٦ **بدوي طبانة**


اللهب المقفى



ألقيت في مهرجان بغداد والكندي
المقام في بغداد في أواخر ١٩٦٢

كفى سؤدداً أن يستهلَّ بكِ العهـد
وحسبكِ يا (بغـداد) ما رسم الخُلْدُ

طلعتِ على الدنيـا ويا خـير مَطْلَعٍ
بشـائره العلياء والملك والسـعد

وتوَّجت هـام الشرق عـزَّ حضارة
تتيـه بها الأجيال فخراً وتعتـدُّ

★

مشى الكاسر (السفَّاح) (١) يحدو كواسراً

إذا برمت ألفت (أبا مسلم) (٢) يحدو

تلاقت فدمَّى ضيغم صدر ضيغم

وأشجعْ بآساد فرائسها أسد

تهاوى بنو عمّ ومالت أقارب

ولم يجْدهم في الرَّوْع عمٌّ ولا جدُّ

فهل ذاد عن (مروان) (٣) صيد (أميَّة)

وثار (لآل البيت) (هاشمها) النجد

تنازع عزّ الملك (فهر) (٤) و (فارس)

فمن هو عمرو في القتال ومن زيد ؟

---

(١) السفاح : هو ابو العباس عبدالله السفاح أول الخلفاء العباسيين وقد تم في عهده القضاء على الدولة الاموية .

(٢) ابو مسلم : هو ابو مسلم الخراساني احد كبار قادة الجيش العباسي وكان فارسي الاصل وهو الذي قام باعلان الثورةعلى الامويين .

(٣) مروان : هو مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية وقد تم في عهده القضاء على الدولة الاموية بعد مقتله .

(٤) فهر : هو فهر قريش جد الهاشميين والمقصود بالمعنى هو ان الذين تنازعوا عز الملك في الحقيقة هم العرب والفرس وان كان النزاع في الظاهر بين الهاشميين والعباسيين .

أبى أن يضحِّي الكسرويّ بعرشه

ويعلو عليه غير رايته بند

دخائل لم تخمد مع النار نارها

ولم ينطفىء في كفِّ قادحها زند

وكيف ينام الشرُّ خلف ضغينة

يؤجِّجها كره وينبشها حقد

ولو أمن (المنصور) غادر نصلها

لما كان إلَّا عُقْر لَبَّته الغمد

★

تباركت يا (بغداد) أمناً لآمن

وكيداً على من جال في قلبه الكيد

خلعت على (المنصور) ظلَّك واستوى

على جانبيك الملك يعلو ويمتدُّ

ولألأت في تاج (الرشيد) جمانة

تظلِّلها الرايات والفتح والجند

وعزَّزت (بالمأمون) عرشك وانتهت
إليك معاريج[5] الحضارة والمجد
مفاخر لم تبلغ علاها مفاخر
وسلطان عزّ ما لأطرافه حدُّ
تسامت فأعيا الطامحين منالها
وهل يُرتقى إلَّا بأسبابه الطود ؟
ومن لك في الأعقاب إلَّا خلائف
رعاديد إن همُّوا مهازيل إن جدُّوا
خلائف تزري بالملوك جلالة
وليس لها في الملك حلٌّ ولا عقد
زعانف لولا التاج فوق رؤوسهم
لما ذُكروا بين الهوام ولا عُدُّوا
أحالوا على الأقدار نحس حظوظهم
كأَنْ ليس في الدنيا جهاد ولا كدُّ

---

(٥) المعاريج : جمع معراج وهو السلم أو المصعد .

وما حيلة الأقــدار في خطب عاجز

إذا فاته الاقــدام أو خانه الجهــد

فـأيٌّ زمـان ليس فيــه مـكاره

وأيٌّ سـماء ليس في نوئهـا رعــد

ولو كانت الدنيا مجالاً لراحــة

لما كان مغـزىً للحيـاة ولا قصـد

فيـا لـتراث من فخـار وسـؤدد

تسـرَّب من أهليــه أعداؤه اللدُّ

بـنى بســداد الرأي ناس فعمَّــروا

وأخلفهم من صدَّعوه ومن هدُّوا

★

تباركت يا (بغــداد) للعزّ موئلاً

ومربض صيــد كلُّ أيامهم ذود

خـبرت من الأيَّـام شـتّى وجوهـا

فمـا غـيَّرتـك البيض منهـا ولا الربـد

وقارعت من هوج السنين أشدَّها

عتوّاً فلم يخذلك من همَّة عضد

فللّه من بأس يزيد على المدى

ثباتاً ويقوى في الخطوب ويشتدُّ

فللت من العهد (البويهيِّ) كيده

بصارم بطش لا يُفَلُّ له حدُّ

وكافحت من سلطان (سلجوق) شرَّ ما

تعوَّذ من أمثاله الصابر الجلد

وهزَّ (هلاكو) صرح عزِّك عالياً

فأبصرت عالي صرحه كيف ينهدُّ

وراع غزاة (الترك) غيلك حقبة

وما لبثوا عند الصراع أن أرتدّوا

فيا لك من شمَّاء عزّ تعاقبت

عليها الليالي وهي شامخة بعْدَ

تظلِّين والدنيا حديث وأهلها

حديثة عهد كلَّما قَدُم العهد

★

تباركت يا (بغداد) ذخر حضارة
معالمها نور وأيَّامها رشد
كفى الشرق أن يحيا بذكراك ذكره
كأنَّك في تاريخه العَلَمُ الفرد
تخلَّت لك (اليونان) عن تاج عزِّها
وولَّاك عرش (الفرس) أربابه العِدُّ (٦)
وشدَّت إليك (الصين) أعلاق رحلها
وأرست على شطَّيْك آدابها (الهند)
بعثت (ارسطاليس) في غير يومه
ولم يَخْطُ (افلاطونَ) في أرضك الوعد
يساريهما نجمان في غور (كندة) (٧)
وفي حَزْن (فاراب) (٨) لنورهما وقد

---

(٦) العد : هو الكثير .

(٧) اشارة الى الفيلسوف العربي الكبير ابي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي وهو عربي الاصل من كندة .

(٨) اشارة الى الفيلسوف الاسلامي الكبير ابي نصر الفارابي وهو من فاراب .

وفجَّرت في الوادي الخصيب مجرَّة
من النور لا يحصي كواكبَها عدُّ
فيا لك دنياً من رشاد وحكمة
يبارحها وفد وينزلها وفد
على عتبات العلم منهم خلائق
وفي حجرات الدين من لِّهم حشد
الى جنب (عدتانيِّهم) (حبشيُّهم)
فليسوا سوى نِدّ يجالسه نِدُّ
سواسية في قاعة الحقِّ أخوة
وليس مع القرآن حرٌّ ولا عبد
يلوذ بتقوى (الشافعيّ) تقيّهم
ومن خلق (النعمان) إيمانه الصلد
فلا العسف أوهى (الكاظمين) جلادة
ولا السوط في ظهر (ابن حنبل) والجلد
شعائرهم عند الصباح تلاوة
وفي قائم الليل التسابيح والوِرد

كرام على المعروف راضوا نفوسهم

وشابت نواصيهم وما شابهم إدُّ(٩)

وأنصار حقّ لم يراود قلوبهم

على البغي كسب في الحياة ولا صيد

وكم عاث باسم الدين في الأرض مفسد

وناح على الاسلام في الكون مرتدُّ

★

تباركت يا (بغداد) للشعر أيكة

كأنّي بها حتّى أفانينها تشدو

على كلِّ فرع رقصة لمهلهل

وفي كلِّ غصن من تهاليله ميْدَ

جلا في مجانيها (ابن برد) عرائساً

من الشعر يكسوهنَّ من سندس بُرْد

ونادمها (الطائيّ) رود خمائل

مساقطهنَّ الطلّ والنسمة الرَّوْد

---

(٩) الاد : هو الامر الفظيع أو الداهية ٠

إذا نزلت ساح (الوليد) تبخترت

وفي جيدها من كلِّ نادرةٍ عِقْد

وإن غشيت ظلَّ (الرضيّ) تضوَّعت

أفاويهَ طيبٍ من نَداوته النَّدُّ

حَشَنَ الى (الروميّ) خود قيانه

وما انتسبت للروم من بينها خَوْد

وصفَّقن (للمعتزِّ) عُجْباً فما استوى

على العرش حتَّى صفَّق الصدرُ والخدُّ

وعُجْنَ على (مهيار) يزفرنَ لوعةً

وينضح من أجفانها الحزن والسهد

وطارحن بالشجو (العتاهيّ) فاشتهى

لو اختيرَ للزهَّاد في ظلِّها اللَّحْد

وما برح (العبَّاس) في كلِّ دارةٍ

حديث العذارى ما يروح وما يغدو

وللَّهو من رهط (النواسيِّ) ضجَّة

وقرع أباريق وأغلمة مُرد

ورقصُ غـواني (مسـلمٍ) وإخـالـه

من الوجد أن لا بدَّ يصرعه الوجد

وسـكـر (مطيعٍ) ما يفيقُ كأنَّما

تعلَّقـه خصـرٌ وعانقـه زنـد

وقهقهـةُ (الضحَّاك) والشَّرْبُ نـوَّمٌ

وصيحـاتُ (ديك الجنِّ) والليل مسودُّ

وعربـدةُ المُجَّان حـول (دلامـةٍ)

وتصخابُ (حمَّـاد) وقد قريء الحمد

حـديقـةُ شعرٍ ظـلَّلت كلَّ فـرقـدٍ

وطـاف على نـدمانهـا الخمـر والشهد

ونـدوةُ آدابٍ حـوَتْ كلَّ باقـةٍ

من الزهر لا فسقٌ هناك ولا زهـد

★

لغـيرك يا (بغـداد) لم يهفُ جانحي

ولا شـاقـني في غـير ظـلِّك أن أشـدو

ولا طاب لي في غير (دجلةَ) مرتعٌ

ولا لذَّ لي في غير شاطئها الوِرْد

إذا حلَّ بي ضيم فعفتُك مُكْرَهاً

رجعتُ وأدهى الضيم ما ضامني البعد

وكيف اصطباري عن حنانِ ربيبةٍ

سريرايَ في أحضانها القبرُ والمهد

أجوبُ من الأقطار أندى بقاعها

وشخصُك لي ظِلٌّ وحبُّك لي رَأْد

فما شغلتني عن نخيلك أيكةٌ

ولا رفَّ لي عن مثل أكمامها الورد

فيا لشتيتٍ جاور الخلد مسكناً

وما همُّه إلَّا الى الوطن العَود

وأيُّ هوىً أبقى على العهد من هوى

تنادمُ فيه أرضَ آبائها الوِلْد

لك الخلد يا (بغداد) ظلّاً وساكناً

ولا جالَ إلَّا في مرابعك الخلد

صحو المشيب

لا تبكِ من ألمِ المُصابْ		فلكلِّ مقدورٍ كتابْ
ولكلِّ يومٍ وعده		لك في مجيىءٍ أو ذَهاب
دنياكَ هذي كلُّها		وطرٌ وأحلامٌ رِغاب
ما أوصدت باباً ولم		تفتح أمامَك ألف باب
فأرفق بقلبك أن يظلَّ		حليفَ همٍّ واكتئاب
ما العمر شهدٌ في أوائله وفي أُخراه صاب
هو بالفؤاد إذا صَبا		لا بالمشيب ولا الشَّباب
كم نفحةٍ مسكيَّةٍ		لكَ في العتيق من الشَّراب

وقـديـمِ ودٍّ كلَّما   طال الزمان عليـه طـاب

مـا طـائـرٌ غـنَّى هـواه   عـلى الأفـانـين الرِّطـاب

بأرقَّ منـه عـلى الـرُّبى   يـترنَّـمُ العجَبَ العُجـاب

ماذا يعوقـك إن جـريت   وراء حبِّـك من صعـاب

وكشفت عن نَزَوات قلبك   لا قنـاعَ ولا حِجـاب

وهتفت بالغيـد المـلاح   وإن عـزَفْنَ عن الجـواب

وأبيت أن تعصي لهنَّ   مشـيئةً فيقـالُ : تـاب

وصممت أذنـك لا تُطيق   سـماعَ لـومٍ أو عتـاب

وبدوت غضّاً في الفـؤاد   ولو هشـيماً في الأهـاب

أتظـنُّ قلب سـواك من   عَلَقٍ وقلبـك من تـراب

من ذا يلومـك إن بَليت   وظـلَّ قلبـك في وثاب

لم تخـلُ مهمـا عُتِّقت   في الـدَّنِّ خمرٌ من حَباب

أتعـافُ دنيـاك الحبيبـةَ   وهي ما برحت كَعاب

وتميـل عنهـا لا تزيد   سوى اعـتزالٍ واغـتراب

وتبيت أظمأ ما تكون		الى مراشفها العِذاب
وتُريق دمعاً كالغمامِ		على فؤادٍ كاليباب
وتروحُ لا أجراً كسبت		على شقاك ولا ثواب
إلّا مزيد تعاسةٍ		وندامةٍ يومَ الحساب
ماذا تهاب وكان عهدك		في الصِّبا أن لا تهاب
أتهابُ إن علق الهوى		بك أن يصيبك ما أصاب
ولمن تعيش وأنت من		غُصص الهوى خالي الوطاب
ولمَ الحياةُ بلا سهادٍ		أو سقامٍ أو عذاب
هل مات قلبك في حشاك		فلا خفوقَ ولا اضطراب
وارتدَّ كالحجر الأصمِّ		فلا يذيب ولا يذاب
ودَعِّ إذن دنياك لا		غرضٌ لديك ولا طِلاب
يكفيك أنَّك قد مررت		بأُنسها مَرَّ السَّحاب

أطياف

من أَينَ أشري الدمع من أَيْنا
أبكي به سالفَ عهدَينا ؟
أبكي به ما مات من أمسنا
وما سبيلي من جديدينا (١)
إيهٍ أمانينا التي وَدَّعت
ولم نكن بَعْدُ تمنَّينا
أكلَّما جدَّت لنا فرحةٌ
أجريتها دمعاً بعينينا ؟
لم ندَّكر منكِ ولا ساعةً
تمَّ بها أنس لقائينا

(١) الجديدان ، هما الليل والنهار ٠

لو بَعْدَ أقصى البين من فرقةٍ
جشّمت أقصى بيننا البينا

هام الأحبّاءُ وجازوا المدى
ونحن في أوّل شوطينا

لو روجعت أيّام لذّاتنا
لم تَعْدُ طيفاً في منامينا

★

يا زورةً كالطيف لم تكتمل
أفراحها حتّى تلاشينا

لم نحتفل فيكِ سوى ليلةٍ
هل كنتِ (نيروز) (٢) حياتينا ؟

بتنا دجانا نتعاطى الهوى
فكان أشهى ما تعاطينا

هل عرف الناس وهل آنسوا
راحاً من الحبِّ كراحينا ؟

---

(٢) أول يوم من السنة الشمسية وهو عيد الفرح عند الفرس .

راحـــاً اذا جالت بأرواحنـــا

صبَّحن في سـكر ومسَّينا

راحاً ولا كالرُّوح في لطفها

أسـرت الى الخـلد بروحينا

لفَّـت ذراعينا عـلى ضَمَّـةٍ

كأَنَّها تُلْحِـم شـطرينا

إذا ارتـوت من ريقـةٍ ريقـةٌ

أظمـأهـا حـرُّ عناقينـا

أو تعبت من شمَّةٍ شمَّـةٌ

أنعشـها طـول اشـتياقينا

أو ثمِلت من قُبْلةٍ قبـلةٌ

حامـت فحطَّت فـوق ثغـرينا

واضطرمت أنفاسـنا جـذوة

تحرق إذ تحـرق خـدَّينا

وارتعشـت أوصالنا نشـوةً

نُحسُّـها بين ضـلوعينـا

نخشـــى مغبَّات هـوىً فاضحٍ
فنجعـــل الصمت ِحـوارينـــا
هيهات تغـرينا ولـو همســـة
تكشف من سـرٍّ غـرامينا
فليس مـا نُفشــيه من حبِّنا
إلاَّ اُختـــلاجات فـــؤادينا
نكاد إن شبَّت لنـا آهـــةٌ
نخمـــدهـا وهي بصـــدرينا
فليس يَغْشَى السمع من بثِّنـا
إلاَّ صـــدى دقَّات قلبينـــا
كأَنَّ مـا يُفضي بـه صمتنـا
أبلـغ من شـــرح لسانينا

★

يا نشـــوةَ الأمسِ وأحـــلامَـهُ
أ يـذهب الأمـس وتبقينـــا ؟

ويا تباريحَ صباباتنا

أفي ظِلال البين تحيينا ؟

ولَّت ليالينا وأفراحها

وراحَ من غنًّى وغنّينا

لم يبقَ ما نُحيي به ليلنا

إلّا مناجاة شقائينا

لعلَّ ما ننفثه من أسىً

يأسو قليلاً من جراحينا

وا حسرتا نندب طول المدى

أطياف لذّاتٍ تَوارينا

شظايا الثورة

بمناسبة الثورة العراقية
في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨

أيُّ حصنٍ قحمتَ في الديجورِ
وطغاةٍ رميتهم بالثبور
أيُّ صرحٍ للمستبدِّين قوَّضْتَ
وتاجٍ عفَّرته وسرير
أيُّ عهدٍ داجٍ طويت مع الليل
مسجّىً بحلمه المقبور
أيُّ فجر ضاحكتَ فيه سنى الفجر
بأبهى من السنى والنور

*

طال صبر الأحرار واْستفحل الخطب

وجاشت أحلام ما في الصدور

وتمادى الأشرار في الكيد والبطش

وأعيت وسائل التحذير

غرَّهم زيف حكمهم فاْستطالوا

فاْحتكمنا لعاقبات الأمور

واْستعنَّا بالحقِّ خيرَ معينٍ

واْستجرنا بالعدل خيرَ مجير

من ملوكٍ جازوا السماء عتوّاً

وولاةٍ قد أمعنوا في الغرور

واْغترار الولاة أدهى الرَّزايا

وعتوُّ الملوك شرُّ الشُّرور

أين أبراج عزِّهم شامخات

أين عالي قصورهم في القصور ؟

أين فضفاض عيشهم في (رحابٍ)

أين زخَّار أنسهم في (الزهور) (١) ؟

---

(١) رحاب والزهور قصران من القصور الملكية في بغداد .

أين صالات لهوهم ماتعاتٍ

بالأميرات منهُمُ والأمير ؟

هل حماهم من غضبة الله حامٍ

ووقاهم من سيِّيء المقدور ؟

كسح الموت جمعهم بسلاحٍ

رِيعَ من هوله سلاح الخفير

★

يا لَطاغينَ لم تعظهم صروف

لزمانٍ أو عِبرةٌ لدهور

طاولوا الله كبرياءً وها هم

دون أشقى عبيده في المصير

هالعاتٍ أرواحهم تتلَظّى

في جحيمٍ من لعنةٍ مسجور

رائحات أشلاؤهم غاديات

في زحام كمثل يوم النشور

بين رأس مهشَّم ولسان

متدلّ وساعد مبتور

وتليــل(٢) مبضَّــع وزنــود

ملقيات وكلـكل(٣) مجـرور

تمســح الأرض جَيْئَةً وذهاباً

باحثات لنتنها عن حفـير

جِيَفٌ قد تخلَّت الأرض عنها

لم تجـد مخبأً لها في القبــور

ما عســاها توقَّعت من حسابٍ

يوم تُدْعى الى الحساب العسير ؟

أَتُراها لم تدَّكر هول يوم

يثأر الله فيـــه للمثـؤر ؟

كم أطاحت بأرؤس وأراقت

من زكيّ من الدماء طهـور

وأسالت من أدمع وأذابت

من كبود وأحرقت من صدور

---

(٢) التليل : العنق ٠
(٣) الكلكل : الصدر ٠

وأراعت من آمنٍ وأدانت

من بريءٍ ويتمت من صغير

دِيَــةٌ أُرجِئت لِيُــدْفَعَ عنها

ضعفها من جماجم ونحور

★

نفد الصبر واُستحال مع الأشرار

غــير الســلاح من تدبير

عصبــةٌ ما يكاد يحلم عصر

بأساليب غدرهــم في العصــور

مســختهم أطماعهم وأماتت

كلَّ دعوى حِسٍّ لهم وشعور

كلَّما زدتهــم رخاءً ويسـراً

زدت أحمى شراهةً من سعير

وترى الناس لا ترى غير خَلْقٍ

ميِّتٍ قبــل يومــه محشــور

بين طاوٍ يمشي الى جنب عارِ

وحسير يمضي وراء كسير

وشقيٍّ في الهائمين شريد

مستغيث بربِّه مستجير

وسجين يستصرخ الظلم عدلاً

وطليق في بيته محجور

وطريد ملاحَقٍ بعيون

هارب من خيالها مذعور

وظنين مضى يؤدِّي حساباً

لا يُؤَدَّى لمنكر ونكير

موبقاتٌ لم تبْقِ للصَّمت عذراً

أو لطول الأناة من تبرير

★

غرَّك المُلك أيها المَلك الغِرُّ

ولم تدرِ ما وراء الغرور

وتعاليت أن يكابر علياءك
توجيه ناصح أو نذير

فتطلَّع الى مصيرك واْخلع
تاج عزّ لبست غير جدير

وتسمَّع صيحات شعب هضيم
طالب ردَّ حقِّه المهدور

أيُّ رهطٍ من الأراذل ساومتَ
عليه وأيُّ لَفٍّ حقير ؟

قد تخيّرتهم فما اُخترت إلاَّ
كلَّ دلاَّل عرضه سمسير

باعك الشعب والبلاد رخيصاً
لتفي حقَّ عِرضه المأجور

أيُّ ظلم أن توثق الشعب أسراً
ثمَّ تنعى عليه ذلَّ الأسير

أ إذا زاد في ولائك حُبّاً
لم تزد غير قسوة ونفور

هَبْهُ شعباً مَيْت الأحاسيس والرُّوح

خلِّي الشُّعور والتَّفكير

هَبْهُ حتَّى دون السَّوائم في الوعي

وصوِّره أبشع التصوير

أحرامٌ عليه ذرَّةُ عطفٍ

من فؤاد وقطرة من ضمير ؟

جاحد الله ليس أعظم كفراً

من جَحود حقَّ الشعوب كفور

★

دمت للعرب يا عراق عريناً

لأسودٍ وموئلاً لنسور

عركتك الأحداث لم تلق أمضى

همَّةً منك في المهِمِّ الخطير

ما تقاعست عن كفاح دخيل

أو تخاذلت في دفاع مغير

تتلقَّى عسف الطغاة بصبر
فتريهم بطش الحليم الصبور

أبداً في تحفُّز ووثاب
غير مستسلم ولا مدحور

هل تهيَّبت يوم ثرت على البغي
ولا عَوْنَ غير ربٍّ قدير ؟

رعت كيد المستعمرين بجيش
خطَّ تاريخ عالم في سطور

نفرٌ لو عددتهم لتلاشى
كلُّ فخر لدى العديد الكثير

نفرٌ لو حسبتهم أهل (بدر)
لاصطنعت الغلوَّ في التقدير

نفرٌ لو شهدتهم ساعة الزحف
لباركت روحهم من كبير

ولأدركت أيَّ نزر عتاد
هدَّ أرسى قواعداً من (ثبير)

يا لهـا سـاعـةً بليــل تقضَّـت

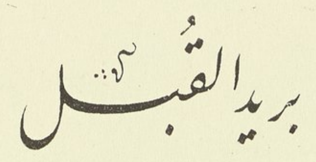
في صــراع مـع الطغـاة مـرير

يا لهـا سـاعـةً بفجــر تجلَّـت

عن رجاء مثل الصباح منير

يا لهـا سـاعـة مضت بالطواغيت

الى غــير رجعــةٍ ونشــور



حيِّي بما يحلو لديكِ وسلِّمي

بالعين إن أحببتِ أو بالمبسمِ

حَسْبُ التحيَّة لحظها إن سلَّمت

وشفاهها إن أومأت لمسلِّم

أعيا بصمتك ناظراك فأفصحا

عمَّا بقلبك من جوىً متضرِّم

وتبلَّجت شفتاك عنه فما عسى

تبغين من كتمان ما لم يُكْتم ؟

لغةُ المشوقة في صميم عيونها

فتحــدَّثي بلسانها وتكلَّمي

وجوابُ حائرة الجواب شفاهها

يفصحن عن متعــثِّر متلعثم

سيَّرت لي من ناظريك رسالة

ما كان أحوج مثلها لمترجم

تطغى عليَّ رموزها فتثيرني

وأُجَنُّ بالحرف الذي لم يُعْجَم

وأحقُّ بالفَهم الصحيح رسالة

خفيت معانيها على المتفهِّم

حسب التحايا والتناجي بيننا

قُبَلٌ تَطايرُ كالفَراش الحوَّم

تنبثُّ ما بين الخدود فتنتشي

وتحوم من حول الشفاه فترتمي

يرتجُّ في عيني وعينك ظلُّها

وتطير من فمك الجميل الى فمي

يتضوَّعُ المبلول من أنفاسها
عطراً كطيب شذاه لم أتنسَّم

يا نكهةَ القُبَلِ الَّتي أستافها
من مُطبق حيناً ومن متبسِّم

أيُّ البراعم أينعت وتفتَّحت
ورجعن أكماماً كهذا البرعم ؟

لو أنَّ أزهار الربيع لمحنه
لرقصن من طربٍ لأجمل موسم

ما رفَّ لي بتحيَّة إلَّا هفا
قلبي وبادلَتِ التَّحايا أعظمي

أو هشَّ لي عن بسمةٍ إلَّا سرت
وكأنَّ نفحَ المسك يسري في دمي

★

حُيِّيتِ أجملَ من لثمتُ وبادلَتْ
شفتي رحيق مُقَبَّل لم يُلْثَمَ

لو عشت في أكناف ظلِّك ساعةً

ولفظت روحي بعدها لم أُظْلَم

كم مقلةٍ راوغتِها فوصلتني

وشغلتِ من دَنِفٍ بقربكِ مغرم ؟

بيني وبينك ألفُ طرفٍ عالق

بكِ لحظه وفؤاد ألف متيَّم

ما لحتِ لي إلَّا تحفَّزَ موكبٌ

من واجدينَ وموكب من هُيَّم

يترسَّمون خُطَى اللحاظ لعلَّهم

يحظون منكِ بصورةٍ لم تُرْسَم

تغشاك أعينهم وأنت وضيئةٌ

يا لَلْهلال يُضيىءُ بين الأنجم

كم راودوك فراودتهم حسرةٌ

لم تُبقِ فيهم جانحاً لم يُكْلَم

وترصَّدوك فلم تقع نظراتهم

إلَّا على إيماءةٍ لم تُفْهَم

لو حِيْلَ بين عيوننا وشفاهنا

لَوَّحْتِ لي بالزند أو بالمعصم

جانفتِ (١) كلَّ فمٍ لريقك ظامئ

ونزلتِ عند الذائق المتطعِّم

دَجَتِ الحياة بناظري فجلوتِها

أملاً كورد شبابكِ المتفغِّم

وأشعتِ في أرجاء نفسي لذَّةً

لولا رواعي الشَّيب لم أتحشَّم

ويحَ الشَّباب أما يزال مُلازمي

ونجيَّ روحي إن صبوت وملهمي ؟

لا مُتَّ يا روح الشَّباب فميِّتٌ

من عاش بعدك خالياً لم يغرم

---

(١) جانف : جافى وانفصل عن بغض .

آمال

ماذا أردُّ على اكتئابكْ ... إن كان ما بي فوق ما بكْ ؟
اللهُ يشهد ما جزعت ... لغربةٍ مثل اغترابك
حَسْبي من العبرات ما ... أهرقتها لك في غيابك
يا ساعةً أمضيتها ... بين التياعي واضطرابك
لم أدرِ ما أبكي بها ... أعلى مصابي أم مصابك
أتراك هالَتْك النَّوى ... فكشفت عن هول ارتعابك ؟
عبثاً أحاول أن أعيد ... إليك شيئاً من صوابك
كيف التفتُّ بسَمتِ لي ... عن هشٍّ وخز من عتابك
حتَّى لَخلْتُ الدَّمع في ... عينيك لوناً من عقابك

(آمال) هل أنا لو علمت سوى المتيَّم من صحابك ؟
وأعيذ قلبي أن يكابر في النزول على طلابك
أ إذا بكيت بغير دمع كنت مدعاة ارتيابك ؟
ولمَ الدُّموع ولوعتي أضعاف دمعك وانتحابك ؟
ياما وقفت مولَّهاً طول النهار أمام بابك
عليَّ أغازل إن خطرتِ رفيف شعرك أو ثيابك
أعيا فأترع بالهوى كأسي وأشرب من حبابك
ولَكَمْ أخذت عليك بُخْلك حين أطمع في رضابك
وأنا الذي لو شئتِ عاقرتُ المنون على حسابك
وجعلت من عيني طعامك والمفضَّل من شرابك
ولَطالما عرَّيتُ نافذتي لتنشق من ملابك (١)
ولمحتُ مَقْدَمَكِ الأغرَّ وكنتُ في جمر ارتقابك
أرنو إليكِ وأنتِ في طول انشغالك وانكبابك
(آمال) لا جاد الزمان بصحبةٍ بعد اصطحابك
مثَّلتِ لي طهر العذارى في شذاكِ وفي إهابك (٢)

(١) الملاب : الطيب .
(٢) الاهاب : هو الجلد .

ما كان أسعدني بقربك أجتـــدي عطف اقترابك
كم مجلس عطَّرتِ ، روَّعَهُ المفاجيءُ من ذهابك
إن كان من أمل يردُّ له السـرور ففي إيابك
(آمـال) يا حُلُمي ، ولم أكذب عليك ولم أحابك
ما كان غير دعاكِ لي بالصَّبر خفَّف من عذابك
قبَّلت صوتك في دعاكِ وحلـو ثغركِ في خطابك
وشممت مسكيَّ الهوى في كلِّ حرفٍ من كتابك
ما همَّـني عمري إذا ولَّى وكان فدى شبابك
فضِّي دمـوع رسـالتي وتبسَّـمي لي في جوابك

من أعلى الجزائر

بمناسبة الثورة الجزائرية
حين دخلت عامها السابع

إلامَ تراوغين وتخدعينا ... وأين الصِّدق فيما تدَّعينا ؟
مددتِ يد الوئام فحامَ شكٌّ ... فكيف به وقد محقَ اليقينا ؟
أعندك أنَّ مَنْ فاوضت قومٌ ... إذا ماطلتِهم يستسلمونا ؟
وأنَّهمُ الضعاف متى توالت ... متاعبهم عنوا لكِ صاغرينا ؟
وأين الضعف إلَّا في أناسٍ ... يوالون الوعود ويخلفونا
وأين العار إلَّا في رجال ... لكلِّ فضيلة يتنكرونا
وأين الخزي إلَّا في طغاةٍ ... يعانون الفناء ويشمخونا

★

طريقُ الحرب وعرٌ يا (فرنسا) وكم أنضى جهود السالكينا

قطعت به السِّنين السَّبْعَ هُوجاً (١) وكم سبع هناك ستقطعينا

وفلَّت عزمك النكبات وهناً وما أوهنتِ عزم الثائرينا

أَبَيْتِ لهم سوى التَّسليم حلاًّ وعَزَّ اليومُ يومَ يَسْلَمونا

فما ثاروا ليرتدُّوا عبيداً ولا نَفَروا ليمضوا خاضعينا

ولا شهروا سلاحَهُمُ ليجثوا أمامك رُكَّعاً يتضرَّعونا

ولا خاضوا المنون ليستكينوا ولا بذلوا الدماء ويبذلونا

ولا عافوا منازلهم ليبقوا عُراةً في الفلاة مشردينا

ولا جاعوا ولا ظمئوا ليدحوا بطونَ علوجك المستوطنينا

ولا وهبوا حياتَهُمُ ليشروا بها أَلْطافَ عفوك شاكرينا

أحيلي أرضهم طوفان نارٍ فهل تَجدينهم يتهيَّبونا ؟

وهل تجدين أنضاهم كفاحاً يحدِّثُ نفسه أن يستكينا ؟

قضوها في الجهاد سنينَ سبعاً فما ملُّوا ولا كلُّوا متونا

ولو أبليت ما أبلوا لدانت لهيبتك الخلائق أجمعينا

★

(١) الهوج : جمع هوجاء وهي العاتية .

جهلنا شِرْعَةَ المستعمرينا فيا أُمَّ الشَّرائع خبِّرينا

أَبَيْتِ على (الجزائر) كلَّ حقٍّ يجاوزُ حقَّها في التَّابعينا

وعزَّ عليك أن تحظى بحكمٍ يقيها شِرَّةَ المتحكِّمينا

أحقُّ السَّادةِ الدُّخلاء حقٌّ ودون الحقِّ حقُّ الآخرينا ؟

تدارستِ الحلول لها تباعاً وما أدهى حلول الماكرينا

فما استهواكِ كالتَّقْسيم حَلٌّ يُعدُّ مكانها في اللاجئينا

ولا كمكيدة الصحراء ختلٌ يسير على هداه الغاصبونا

ألا خسئتْ حلولك من حلول وخاب رجاكِ فيما تأملينا

متى كنتِ الوصيَّ على البرايا تبيعين الشعوب وتشترينا ؟

وهل رأت (الجزائر) فيك إلاَّ فلول عصابةٍ يتآمرونا ؟

هبيها آوتِ الغُرَباء يوماً فهل فقدت حقوق المالكينا ؟

وهل لبنيك بالصحراء عهدٌ وفي أيِّ المهالك يصحرونا ؟

فما خُلقَ الجبان أخا فيافٍ ولا عرف الوهاد أو الحزونا

ولا سكن الصَّحارى غير ليثٍ تأَجَّم(٢) حرَّ رملتها عرينا

(٢) تأجم : دخل الأجمة وهي مأوى الاسد .

شهدنا يأس جندك في الصَّحارى يجوبون الفلاة مدجَّجينا

فلم نشهد هناك سوى جراء (٣) تَصايحُ أو أرانب يمْلعونا (٤)

إذا سمعوا بداجيةٍ صفيراً أقاموا الليل ما يتنفَّسونا

وإن لمحوا على بُعْدٍ خيالاً فشكل الموت ما يتخيَّلونا

سلي صيد (الجزائر) كم أطاحوا على فلواتها منهم هجينا

سلي (وهران) كم تركت قتيلاً يعانق جرح صاحبه طعينا

سلي (أوراس) كم قطعت رؤوساً وطأن هضابها وفرت (٥) بطونا

فما تبغين من إخضاع شعبٍ تسامى عزَّةً لك أن يدينا ؟

حشدتِ له جحافل من رعاع وضعف حشودهم من مجرمينا

فهل جازوا لمعقلهِ سياجاً وكانوا في اللقاء موفَّقينا ؟

وأين من العُقاب بُغاث (٦) طير تعافُ الوكن إن سمعت طنينا

★

دعي لغةَ الحديد وحاجينا لعلَّك بالوقائع تدمغينا

---

(٣) الجراء : جمع جرو وهو ولد الكلب .

(٤) يملعون : يسرعون .

(٥) فرت : شقت .

(٦) البغاث : طائر صغير الحجم بطيء الطيران .

خلا لك في (الجزائر) كلُّ شبرٍ وصرَّفتِ الأمور بها سنينا

وبدَّلتِ الوجـود بها فناءً فهـل بدَّلْتهـا لغةً ودينـا ؟

وعايشــها بنوك ورُبَّ عيش يتــوق لمثله المُتنعِّمـوتا

فهل قطعوا الأواصر أو تناسوا مـع الأيـَّام أُمَّهُـمُ الحنـونا ؟

فما لك كلَّما ســألتك عتقاً أَلَحْتَ لهـا بسفيك ترعدينا ؟

أراعك أن ترود سواك مرعىً فتصبـح لقمــة للسائغينا ؟

كفى بك في خداع الناس إفكاً وحسـبك باطـلاً ما تزعمينـا

أحقّـاً أنت للراجين كهفُ يلوذ بك الضعاف ويحتمونا ؟

وأين حماة أرضك يا (فرنسا) غـداةَ تعرَّضَتْ للطَّامعينـا ؟

وأين عتيد جيشكِ يوم هبَّت جحـافله بوجـه المعتـدينـا ؟

وكيف انهار لم يسعفه شهرُ يردُّ به الغــزاة الفاتحينا ؟

وأين منيع خطِّك يوم حاقوا (بماجينو) (٧) فزادوكم جنونا ؟

تركتم كلَّ حاميـةٍ وراءً ورحتـم بالهزيمــة تحتمـونا

وساقكمُ العـدوُّ سياق بُهْمٍ (٨) فمـا حـدتم شمالاً أو يمينـا

---

(٧) ماجينو : هي سلسلة حصون اقامها الفرنسيون على حدودهم مع الالمان .

(٨) البهم : البقر والمعز والضان .

ركعتم كالعبيد له صَغاراً (٩) يسومكمُ العذاب وتنظرونا
ولو لم يدفع الأغيار عنكم لكنتم في عداد الهالكينا
فأين فخاركم إن قام فخرٌ وأين مكانكم في العالمينا ؟
فما خضتم لمعركةٍ غماراً وعدتم بالفخار متوَّجينا
ولا فزتم على خصم بحرب سوى في سوء ما تتخلَّقونا
فيا لمليء ماضيكم فساداً ويا لمزيد حاضركم شجونا
عجمنا (١٠) عودكم سلماً وحرباً وشمنا (١١) طبعكم عَنَتاً (١٢) ولينا
فلم نلمح كروحكمُ انهزاماً ولا كنفوسكم ذلّاً وهُوْنا
ولا كقلوبكم فَرَقاً وجبناً ولا كصدوركم مرضاً دفينا
ولا كرديء معدنكم رديئاً ولا كأفين (١٣) رأيكمُ أفينا

★

حياءً أيها المتغطرسونا ورفقاً بالشعوب الوادعينا

---

(٩) الصغار : الذل والمهانة .
(١٠) عجمنا : اختبرنا .
(١١) شمنا : نظرنا .
(١٢) العنت : الشدة .
(١٣) الافين : ضعيف الرأي .

نزفتم رزقهم سلباً ونهباً فهل أبقيتُم ما تسلبونا ؟
وسمتم عيشهم نَكَداً وبؤساً وعينُ اللهِ ترعى البائسينا
طغت أطماعكم حتّى لكادت تُغير على عظام الميّتينا
أبيتم غير جنَّتكم نعيماً وغير شعوبكم مترفّهينا
كأنَّ الكفر أن تجدوا سواكم بنعمة ربِّهم يتحدَّثونا
ألا تبّاً لنزعتكم وسحقاً لأفئدة القساة الظالمينا
وأتْعس بالخلائق أن يساسوا بعقل الساسة المتعفّنينا
يسود الأبيض المسودُّ قلباً وتحتقر الشعوب ملوَّنينا
وربَّ مسوَّدٍ ما ساد إلَّا بتضليل السَّواد الغافلينا
ومنتهز يعيش الدَّهر كَلّاً على عَرَق الجموع الكادحينا
دَعوا سلطانكم بالأمس واعنوا لحكم الدَّهر غير مكابرينا
فلم يَعُدِ الزَّمان لكم وليّاً ولم تعُدِ الشُّعوب لكم قطينا (١٤)
غلوتم في العتوِّ وأيُّ باغٍ أطاقت بغيه الدُّنيا قرونا
فما تألو البريَّة من أذاكم تعجُّ كوارثاً ما ينتهينا

(١٤) القطين : الخدم والاتباع .

فما من فتنةٍ شبَّت بأرض ولم يَكُ مكركم فيها كمينا

ولا سالت بمجـزرة دماء ولسـتم جنـدها المتسـتِّرينا

دنت أَيَّامكم ولربَّ يومٍ سيطلبـكم ولو في الهامـدينـا

فليس كمشهد التاريخ عرضٌ يلوح الناس فيه مصـوِّرينا

فخطُّوا فيـه صفحتكم وسيروا بلعنـات الشـعوب مودَّعينـا

ردّ على رسالة

وَدَّعتُ عهدكِ وأنتهيتُ وخرجتُ منه بما أكتفيتُ
وجهلت أَنِّي قد هويت أو اصطحبت أو التقيت
ونسيت أَنِّي في غرامكِ قد ضللت وقد غويت
وجعلت كلَّ مشاغلي تكفيرتي عمَّا جنيت
حَسْبي شقاءً أن جُننت على يديكِ وما وعيت
وبلغت أقصى ما بلغت من الضَّلال فما أرعويت
سنة وفي أعقابها عمرٌ كأسوأ ما قضيت
زيَّنْتِ لي حُلُم السعادة في جوارك فأرتميت
ورضيت لي بالهمِّ يأكل في فؤادي فأرتضيت
حتَّى إذا بلغ الضَّنى بي من عذابك أن ذويت
بدَّلْتِ من لهب الحشا لهب الحشاشة فاصطليت
وجلوتِ بالبسمات لي صور الشقاء وما دريت

لو يُحْتَمَى بالنَّار من ... ريًّا شفاهك لاحتميت
أثخنتِ قلبي بالجراح ... فما نبست ولا اشتكيت
وتركتِ عيني لا أرى ... أشباحها إلاَّ بكيت
عيني الَّتي كانت تُريني ... منكِ أجمل من رأيت
كانت إذا غازَلْتِها ... نشيت بسحرك وانتشيت
عيني الَّتي أضرمتها ... ناراً بجذوتها اكتويت
وظللت أشرب من سعير ... دموعها حتَّى ارتويت
عيني الَّتي بسهامها ... أدميت مهجة من رميت
ولطالما هتكت بنظرتها ... السرائر فاهتديت
واليومَ أُمسك بالعصا ... حذر العثار إذا مشيت
وأسير لا أدري أصبحاً ... سرت أم ليلاً سريت
وغداً إذا انطفأ السِّراج ... ولم يَعُدْ في العين زيت
وزويتُ عن نور الحياة ... كفيف طرفي وانزويت
ستهبُّ تعصف بالفؤاد ... من العواطف ما طويت
ويُنير دربي في الظَّلام ... قصيدة ويضيء بيت
ويعود ينبض بالحياة ... محنَّط في الصدر ميت

مع الرّاح

ألا ما كان أعظمَني شقاءا
وأكثرَني بلا سكر عناءا

وأنزلني على أحكام دهر
قضى أن لا أردَّ له قضاءا

وهل كالرّاح من تلقاه عوناً
على البلوى ودرعاً واتّقاءا ؟

وهل كالرّاح من محمود عقبى
لمن ساءت عواقبه وساءا ؟

لئن عانيتُ صرعتها طويلاً
كفاني أن وجدت بها العزاءا

وكم في زحمة الآلام صاحٍ

رأى في سكرة الموت انتشاءا

نظرت فلم أجد كالرَّاح طبّاً

لمن فقد الطَّبابة والدَّواءا

ولا كجوارها للنَّفْس أنساً

إذا برمت من الدنيا استياءا

ولا كدبيبها في الجسم لطفاً

وقد خدرت مفاصله ارتخاءا

ولا كأريجها في الطِّيب نفحاً

إذا راح النَّسيم به وجاءا

ولا كرضيعها نهَماً وجوعاً

إذا أتخمته زاد اشتهاءا

ولا كطريحها إن نام دهراً

شكا من طول صحوته العياءا

وهل كالصَّحو من كابوس همّ

لعانٍ لاذ بالسكر احتماءا ؟

جزاها الله كم غمَّاء حزنٍ

جلت عنِّي وكم بعثت رجاءا

وكم ناديتها لعصيب يوم

فما برمت ولا ردَّت نداءا

عكفت الدهرَ أجزيها عناقاً

وتقبيلاً وشمّاً واحتساءا

أواصلها كما يسعى تقيٌّ

لمسجده صباحاً أو مساءا

ولو أَدَّى كتأديتي صلاةً

بموعدها لما صلَّى قضاءا

وهل سيَّان من أَدَّى فأوفى

ومن أَدَّى فأوجزها أداءا

وهل سيَّان من يجثو سروراً

بجانبها ومن يجثو بكاءا

وهل سيَّان منتظر عقاباً

يواجهه ومنتظر جزاءا

مززت(١) لعابها فسرى بجسمي

يروّي فيه أحشايَ الظِّماءا

وجاوزهنَّ فامتلأت عروقي

وكاد البعض ينفجرُ امتلاءا

كأنّي ما هممت به ليُبْقي

بجسمي قيد أنملة خلاءا

فلو عصر السُّقاة دمي ولحمي

تعذَّر أن يروا في الخمر ماءا

عجبت وما عجبتُ لغير صدري

أخمراً ما تنفَّس أم هواءا

★

فدىً للراح أغلى ما بنفسي

وهل في الراح ما يغلو فداءا

فلولا الراح ما عالجت سقماً

ولا فرَّجت كرباً أو بلاءا

---

(١) مززت : مصصت .

ولا آنستُ في الأيَّام يوماً

عرفت به السَّعادة والهناءا

ولا آثرت غير الحزن مرأى

أزيد به على نفسي انطواءا

ولا بدَّلْتُ من جزعي صموداً

وهزءً بالمكاره وازدراءا

ولا حبَّرت في الأشعار سطراً

كفلت به لجدَّته البقاءا

ولا حقَّقت في الغايات مسعى

جليلاً كان ذلك أم غثاءا (٢)

ولا قارفت (٣) معصيةً وإثماً

ولم أُهْرَع إلى اللهِ التجاءا

ولا رقرقتُ في الخَلَوات دمعاً

بعثت به إلى ربِّي دعاءا

---

(٢) الغثاء : الزبد أو البالى من الورق المصاحب للزبد ٠
(٣) قارفت : ارتكبت ٠

لَكُنْتُ نَبَذْتُها لو أَنَّ أُخرى

سواها بدَّلت كدري صفاءا

لكنت رميتها بالكفر لو لم

أجد فيها لأسقامي شفاءا

لكنت وصمتها بالرِّجس حقّاً

ولم أجرؤ على اللهِ افتراءا

لكنت جعلت من عيني شراباً

ألذُّ به ومن كبدي غذاءا

لكنت رفعت بالدَّعوات كفِّي

أصلِّي للَّذي رفع السَّماءا

لكنت غضضت من طرفي حياءً

لكنت خشيت من ربِّي لقاءا

في مهرجان شبلي الملاط

ألقيت في المهرجان الكبير المقام في بيروت في نهاية عام ١٩٦١ بمناسبة مرور عامين على وفاة شاعر الارز الكبير المرحوم شبلي الملاط

حُلُمٌ كوشي رباك في أندائِهِ
وكنشرها الفوّاح في أشذائِهِ

حُلُمٌ تقادمت السُّنون ولم يزل
من شوقه في الأوج من غُلُوائه

حُلُمٌ أرادك في الخيال فما صحا
ورآك حتّى تاه في خيلائه

حُلُمٌ تقمّص ذكريات شبابه
وأتاك يرفل في قشيب ردائه

حُلُمٌ كَأَنَّ ظِلال كرمكَ حانُهُ

والتِّين والزَّيتون من ندمائه

★

يا صبَّ (لبنان) الوفيَّ بعهده

ونجيَّه في صبحه ومسائه

ما زلتَ تحلُمُ في حبيب خياله

حتَّى أفقت على رطيب ندائه

فحثثت أشوق مهجةٍ لبلوغه

وحملت أجمل قُبْلةٍ للقائه

وسريت مهتدياً بضوء (شهابه)

ونزلت محتمياً بظلِّ (لوائه)(١)

وتطرَّبَ القلب المشوق منادماً

أحلام صبوته وعهد هنائه

يا بلبل الأيك المفارقَ عُشَّه

ها قد رجعت الى ظليل فنائه

---

(١) شهابه ولوائه : تلميح الى اللواء فؤاد شهاب رئيس جمهورية لبنان يومئذ .

فاصدَح كعهدك أمسِ في جنباته

وامرح وناجِ هواك في أفيائه

واستذرِ فيه من الزَّمان وصرفه

متظلِّلاً بالأرز من أرزائه

نازعته الشَّوق القديم وطالما

نازعته الخفَّاق من أحشائه

فعرفتَ كيف تقيم بين ضلوعه

وعرفتَ كيف تنام في سودائه

لبنان أَوْفَى من رعاك بعطفه

وحباك بالفيَّاض من آلائه

آنستَ في السَّراء صفو نعيمه

ولمستَ في الغمَّاء جمَّ عزائه

وطَعِمتَ لم تطعم كهانىء عيشه

ولذيذ ما أولاك من نعمائه

وشربتَ لم تترك لربِّك حجَّةً

أن ينضبَ الفردوس من صهبائه

وعزفتَ ألحانَ الصِّبا عذريَّةً

يسلو بها العذريُّ عن عذرائه

ونطقتَ بالغرر الحسان فصيحةً

كلسانه عربيَّةً كدمائه

ونهلتَ صفوَ العلم من أعلامه

وقبست وحي الشِّعر من شعرائه

من آي ملهمه (وشاعر أرزه) (٢)

والصَّادح التيَّاه في أجوائه

من روح (أخطله) (٣) وسحر (أمينه) (٤)

ومن (الخليل) (٥) ومن سنى إيحائه

رُسُلٌ من الفصحى جلال كتابهم

أن تصبح الأرواح من قرَّائه

تخبو النجوم وذكرهم متألِّقٌ

يغشى سنى الدنيا سنى لألائه

---

(٢) شاعر الارز : هو المرحوم شبلي الملاط .
(٣) اخطله : الاخطل الصغير وهو الشاعر بشارة الخوري .
(٤) أمينه : الشاعر اللبناني أمين نخله .
(٥) الخليل : هو المرحوم خليل مطران شاعر القطرين .

ورثوا إمارات القريض وجاوزوا

ما أحرز الأسلاف من أمرائه

في مهرجان الأرض نجوى حيِّهم

لفقيــدهم في مهرجان سمائه

حَسْبُ القرائح همَّةً أن تعتلي

لتساجل (الملّاط) في عليائه

عَلَمٌ إذا غشيَ المحافل منشداً

ترك الزّمان يطيل من إصغائه

غنَّى بشاطي الرّافدين فردّدتْ

شطآن وادي النيـل عذب غنائه

ونحا (الشآم) فهللت (فيحاؤه) (٦)

للكوكب السّاري الى (شهبائه) (٧)

واجتاز يكسو (الأرز) ظلَّ غمامه

وينوء بالثجّاج من أنوائه

---

(٦) فيحاؤه هي دمشق الفيحاء .

(٧) شهبائه : هي حلب الشهباء .

فسقى (فم الميزاب) (٨) من شؤبوبه (٩)

ما لا يعاض (بدجلة) عن مائه

للهِ نفحة خيّر لم يُؤْتها

إلاَّ الحواريُّون من نظرائه

للهِ صفحة سؤدد ما خطَّها

إلاَّ بطول جهاده وعنائه

لو نُصَّ في حرم السَّماء ضريحه

كان الطَّواف به أقلَّ جزائه

★

لبنانُ يا بلدَ السَّماحة والنَّدى

ورجاءُ كلِّ مخيَّب برجائه

قَرَّ الشَّجيُّ وقد مسحتَ دموعه

وتنفَّس المهمومُ عن صُعَدائه

---

(٨) فم الميزاب : هي أعلى قمة في جبال لبنان . وفي البيت اشارة الى أعظم قصائد شبلي الملاط وعنوانها (فم الميزاب) وهي القصيدة التي بايع فيها الشاعر أمير الشعراء أحمد شوقي بامارة الشعر نيابة عن لبنان . (٩) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

ومَن ٱلخليق بأن يعالج مدنفاً
غيرُ الَّذي بيديه سرُّ شفائه ؟

ما زاغ طرفي عنك في أحلامه
أو حاد روحي عنك في إسرائه

لو علَّلتني غير أرضك جنَّة
واسيتُ قلبي في طويل شقائه

أنزلتني ضافي حماك وليت لي
حظّاً فأبقى الدَّهْرَ من نزلائه

وأحاط بي أهلوك حتَّى لم أجد
بيناً أحلُّ ولستْ من أبنائه

كَرَمٌ ومَنْ يسديه إلاَّ ماجدٌ
ورثَ النَّدى العربيَّ عن آبائه

كَرَمٌ سينتظم (العراقَ) حديثُه
ويسير مسرى النِّد في أرجائه

ويهزُّ أعطاف النَّخيل بشطِّه
وشمائل ٱلحادين في بيدائه

ويديله (١٠) هزج الرُّعاة بريفـه

والَّليـل والسُّمار في زورائه (١١)

ويزيد من عبء الَّذي أنا حامل

لك من مشـاعره وصفو إخائـه

ما انفـكَّ يُثقل كلَّ يوم كاهـلي

بأمانـة ويزيـد من أعبـائـه

ولعلَّ صفحك عاذري إن لم أكن

أَدَّيت مـا حُمِّلْتُ حـقَّ أدائـه

أو علَّ يسعفني (أمينك) بالَّذي

هو أقـدر الشـعراء في إسـدائـه

لبنان حسبك نفحة من (حافظ

لجميل) (١٣) صنعك لاهج بثنائه

---

(١٠) يديله : يتداوله ٠

(١١) الزوراء : بغداد ٠

(١٢) امينك : هو الشاعر اللبناني أمين نخله ٠

(١٣) تلميح الى ناظم القصيدة ٠

بعد اللقاء

لا تجوري على رفيق صِباكِ
واسأليه عمّا بدا فجفاكِ
واعذريه إذا تلمَّسَ عذراً
فطوى عهد حبِّه وسلاك
واطرحي عنك ذكريات سنين
شهدت طول وجده وأساك
أيُّ وعد يغريه بعد لقاء
وَدَّ لو حال جمرة من نواك ؟
ألقاءٌ من بعد عشرين عاماً
ومتى كنتُ حالماً بلقاك ؟

ألقاءٌ ولا أظنُّ بشيراً
قد أتاني بمثله وأتاك

ألقاءٌ وليس غيرَ عناق
وسلام وليس غيرَ اشتباك

ليتَ (بيروتَ) راقصتني سروراً
وشفاهي تزقُّها شفتاك

وحرامٌ عليَّ أن لا أُدمّي
بالتحيَّات وجنتيك وفاك

هِزَّةُ الشَّوق بعد طول فراق
هي فوق الخيال والإدراك

ثمَّ سِرنا وفي ذراعك كفِّي
وجلسنا ومتعتي كفَّاك

وذكرنا أحلامنا فصبونا
وعراني من هِزَّةٍ ما عراك

وافترقنا عن موعدٍ فالتقينا
ومتى فارقتْ مناي َمناك ؟

فتعجبتُ كيف ضاع وقاري

حين قابلتني وزال حياك

ومضينا فما شكوت عياءً

من مسير ولا ونت قدماك

واحتوانا جنح الدُّجى فاختلينا

خلوةً لا تتاح للنسَّاك

وسمرنا وليس غير شجوني

من حديث وليس غير جواك

واعتنقنا وقد تبلَّلَ خدِّي

يا لَخَدٍّ منديله خدَّاك

وسجا اللَّيل غير نجوى عشيقٍ

لعشيق وبثِّ شاكٍ لشاك

فتمنّيتِ لو يطول سهادي

وتمنّيتُ لو يحين كراك

وشربنا كأس اللِّقاء فكانت

شفتي تارةً وأخرى لمَاك

وتوسَّلْتِ لو صحوتُ قليلاً

كيف أصحو وفي فمي نهداك

وٱستحرَّتْ أشواقنا فٱشرأبَّتْ

لكِ عيني وماطلت عيناك

فٱلتحمنا حتَّى تضعضع جنبي

وٱشتبكنا حتَّى تداعت قواك

وٱرتمينا وتحت رأسك زندي

وٱحتضنَّا ومحزمي زنداك

ثمَّ لمَّا زال الكرى وصحونا

هالني كيف لم يُعمَّر هواك

إيهِ يا عرس عاشق قد تلاشى

بعد عشرين حجَّةً من عراك

ما تهنَّيتَ غير عشر ليالٍ

ضاحكات والأخريات بواك

حسبكِ الله يا (وفاءُ) وحسبي

ووقاني شرَّ ٱلوَفا ووقاك

أ (وفاءٌ) ولا وفاءٌ بعهدٍ

أيُّ غدرٍ أراد من سمَّاك ؟

ألهذا اللِّقاء واصلتُ حبِّي

وطويت السنين في ذكراك ؟

ليتَ لا كان حبُّنا في صبانا

وكفاني جهل الصِّبا وكفاك

ليت لا كان بعده من فراق

زادني طول حسرةٍ وشجاك

ليت لا كان بعده من تلاقٍ

ضاع حبِّي به ومات رجاك

أإذا جدَّ عاشقٌ لك غيري

كان حظِّي مع الصُّدود ازْدراك

ولبئست لقاءة جمعتني

بغريم ما ضامني لولاك

أيُّ سهم سدَّدتماه لصدري

حين شدَّت على يديه يداك ؟

ولِمَ الهمْسُ والجـوانح تصغي

ولِمَ الغمْـزُ والفـؤاد يراك ؟

ولِمَ الكيد ما وجـدتِ مجالاً

لاحتضانٍ أو فرصةً لاحتكاك ؟

ولِمَ السُّخط إنْ جعلتكِ قربي

وسـهونا فمسَّ ردني رداك ؟

ولِمَ الـذُّعر إن نأى بـكِ عـنِّي

ورآنـي وراءه ووراك ؟

وهـل الحبُّ أن أمـوت وأحيـا

بـين إشـفاقه وبـين رضاك ؟

وهل الحبُّ أن أجامـل خصمي

وأُهنيِّـه في سـبيل هناك ؟

وعجيبٌ أن تُمْعِـني فيَّ غـدراً

وتظـلِّي تمضـين في إغراك

أيُّ طيرٍ نجـا من الأسـر حيّـاً

وتمـنَّى الوقـوع في الأشـراك ؟

وَلَئِنْ كنتُ في جـوارِكِ أعمى

فسأبكي عـلى طويـل عمـاك

وسأبكي ولا أُبلِّل جفنـاً

حـذَرَ الـدَّمع أن يبـلَّ حشـاك

مـا تعمَّـدْتُ أن أغيظـك لو لا

أَنَّ سـيفاً أشـهرته أدمـاك

وحـرامٌ أن لا أقابـل صـدّاً

بصـدودٍ ولا أراك كـذاك

لستُ (قيساً) ولستِ (ليلى) لأشقى

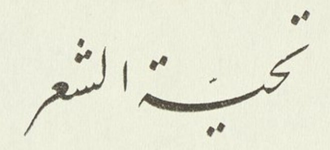
بجنـوني وتنطـوي بضنـاك

ما تـذوقتُ لـذَّةَ العُمْـر إلاَّ

حين شـاء القضـاء أن أنسـاك

فاشكري الله أن شـهدتِ عقوقي

ولهُ الحمـد أن خبرتُ وفاك



ألقيت في مهرجان الشعر
المقام في بغداد عام ١٩٦٥

أَضْيافَ (بغداد) هذا وجه بغدادِ
صحائفٌ من بطولاتٍ وأمجاد

ما حبَّرَ الدَّهر تأريخاً كأسطرها
في لوح خُلْدٍ ولا في سِفْرِ آباد

في كلِّ صدرٍ كتاب من روائعها
يُتْلَى وفي كلِّ ثغرٍ حلو إنشاد

هاتوا الصَّحائف من عزٍّ ومن حَسَبٍ
إن كنَّ أندادها أو شبه أنداد

إرث العباقرة الأفذاذ إنْ وقفوا

بين الجبابر كانوا شمَّ أطواد

مآثر الخلفاء الغُرِّ ما تركوا

لسادة الأرض رأساً غير منئاد

السَّالكين طريقَ النَّصر ما وهنوا

من طول مرحلةٍ أو بُعْدِ آماد

الرَّافعين لواءَ الحقِّ ما فترت

سيوفهم بين إشهار وإغماد

ما شانهم ويمين الله تسندهم

أن يشركوا السَّيف في دعم وإسناد

تبارت البيض والأقلام فانطلقت

لم يثنها طول آفاقٍ وأبعاد

إذا نبا السَّيف في زيغ يقوِّمه

سَلَّ اليراع عليه سيف جلَّاد

وحكمةُ السَّيف في زجرٍ وفي رَهَبٍ

كحكمة الله في وعدٍ وإيعاد

تبقى العقائد تستوحي شجاعتها
من غيل أفئدة لا غيل آساد
والحربُ ساحة آراءٍ وفلسفةٍ
طلائع الحقِّ فيها خير أجناد
وما الحضارةُ إلّا كدُّ أدمغةٍ
وقدرةُ العقل في خَلْق وإيجاد
وثروةُ الفكر طاقاتٌ نفجِّرها
في غير مصنع بارودٍ وفولاد
لم تحتضن غير أقلام وألسنة
مشهَّرات لتهذيب وإرشاد
ما أعجزَ السَّيف حسن الرأي يعوزه
وما أضلَّ السُّرى من غيرِ ما هاد
رَبُّ البطولة خلف الطرس مقعده
لا فوق بارجةٍ أو فوق طرَّاد
لولا المُخَلَّدُ من شعر ومن أدب
أخنى الزَّمان على ذكر (ابن شدَّاد)

حَسْبُ ٱليراعة أن تُسقى إذا ظمئت
من جوف محبرة لا جوف أكباد

وما ٱلحسام بلا دينٍ ولا خُلُق
إلاَّ النِّهاية في كفر وإلحاد

مَنْ زَيَّفَ ٱلحقَّ إلاَّ غشّ أنظمةٍ
وٱستعبد النَّاس إلاَّ ظلم أفراد ؟

ومَن قضى أن يكون البعض آلهة
وأن يظلَّ سواهم محض عبَّاد ؟

لا بوركَتْ دولةٌ قامت شرائعها
على مباديء خدَّام وأسياد

هاتوا ٱلعبيد أُقَطِّعْ كفَّهم قُبَلاً
ولا أصافحُ كفَّ الظَّالم ٱلعادي

أهيَ الكرامة في جاهٍ وفي نسبٍ
وليس في عملٍ مضنٍ وإجهاد ؟

ولَّى الَّذي كان إنْ غنَّى بمحتده
خلَّى ٱلورى بين عشَّاقٍ وحسَّاد

فما رفيقك في جهدٍ وفي عمل

إلَّا شريكك في بؤس وإسعاد

أيحسبُ ٱلجشع ٱلمنهوم أَنَّ له

دَيْناً بذمَّة هذا ٱلجائع الصَّادي ؟

وأن يعيش أخو اللَّذات في رغدٍ

وٱلكادحون بلا مأوىً ولا زاد

بئسَ الشِّعار شعار ٱلعدل يرفعه

باغٍ يعيش على مجهود أنكاد

★

أضيافَ بغداد أوجزتم زيارتكم

عِدُوا بطول زيارات وترداد

طوفوا ببغداد لا يُلْهب مشاعركم

ما شاقكم من حديث الرائح الغادي

وٱستعرضوا وجه ماضيها وحاضرها

بما شهدتم وكونوا خير أشهاد

بغداد هذي أمِ الدُّنيا وما شهدت

مواكبُ الفتح من عرس وأعياد ؟

بغداد هـذي أمِ الفردوس ناشرةً

أعـلامهـا بين مفـــتّرٍ وميَّـاد ؟

بغـداد هـذي ومَنْ أَوْلى بتكرمـة

منهـا طوال المدى أو عيد ميلاد ؟

وتلك (دجلـة) أم عـذراء حالمـة

تضاحك النَّجـم عن فضِّيِّ أبراد ؟

جـرَّت على صفحة الوادي مطارفها

فسحسحَ الخير يسقي ساكن الوادي

كأنَّهـا وجنـاحُ النَّخْـــل يحضنها

فجـرٌ تلألأ في أكناف أوراد

ساحت على القفر فاخضرَّت جوانبه

فالنَّـاس مـا بـين روَّادٍ وورَّاد

مَنْ قيَّض السِّحر (للمنصور) فانتفضت

كفَّاهُ عن كوكب في الأرض وقَّاد ؟

وَمَنْ أحال كثيب الرَّمل زنبقةً

تناظر الشَّمس في حسن وآراد ؟

تلك الأميرة لولاها لما هتفت

في البيد قافلة أو ردَّدَ الحادي

تسنَّمت مفرق الشطَّين وانتصبت

برجاً لسارين أو ركناً لقصَّاد

وغصَّ بالنِّزْلِ واديها فما برمت

بمستظلٍّ ولا ضاقت بمرتاد

سليلةُ المجد لم يثلم كرامتها

ما ضامها من سلاطين وقوَّاد

طالوا عليها سنا عزٍّ فكان لهم

عين القضاء وكفَّاهُ بمرصاد

وربَّ عشَّاق أمجادٍ مزوَّرة

حلَّ الفناءُ بهم من غير ميعاد

تقلَّدوا شارةَ الأحرار واحتجزوا

لسيفهم كلَّ حرٍّ غير منقاد

وأيُّ حريَّـةٍ تلك الَّـتي نشـــأت

في قعر سجن وعاشت بين أصفاد ؟

حـريَّة ٱلمســـتبدِّ ٱلفَظِّ أيسـرها

إعـــداد معتقل أو نصب أعـواد

لا نام حارس بغـداد ولا عـدمت

أغيـار أُسْـدٍ عن ٱلأوطـان ذوَّاد

تداولتهـا يـد الأشـرار فٱعتصمت

بفتيةٍ سُبَّق في ٱلغـوث أنجـــاد

من حاملين ذمام العهـد في يدهم

ومن مضحِّـين بالأرواح أجواد

وللكرام حميَّـات إذا ٱحتدمت

فليس تســكن في كبتٍ وإخمـاد

★

نشءَ ٱلعــــراق وحيَّـا الله ناشـئة

توارثوا العـزَّ عن أحـرار أجـداد

جالَ المفرِّق فيكم يبتغي قَنَصاً

فحاذروا أن تكونوا طُعْمَ صيَّاد

لم يخلُ تأريخكم من بثِّ تفرقةٍ

قام الخصوم بها أو زرع إفساد

فمحِّصوا وجه أعداكم فقد نسخوا

روح الأبالس في سيماء زهَّاد

حَسبُ الأنانيِّة النكراء ما جلبت

على العراق وما جرَّت على الضَّاد

فبادروا واجمعوا أشتات صفِّكُمُ

فما خُلقتم لأضغانٍ وأحقاد

أنتم بنونا ونبع من حُشاشتنا

وما نبدِّل أولاداً بأولاد

ما عاق أعداكم والخلف ديدنكم

أن يضربوا الكلَّ آحاداً بآحاد

وكيف يسفر عن نصر جهادكُمُ

إن فاتكم حسن تنظيم وإعداد

صرح الحضارة ما شيدَتْ دعائمه

إلَّا على فتيةٍ كالجنِّ مرَّاد

والشَّعب بالعمل ٱلجبَّار قدرته

لا في مدى رقعةٍ أو كثر تعداد

ألَمْ تعظكم (فلسطين) ونكبتها

بسائرين الى الأعداء أضداد ؟

ألَمْ تتركم ضحاياكم وما نثرت

في ساحة ٱلمجد من هامٍ وأجياد

ملءُ ٱلقفار جراحات مجلجلة

أصداؤها بين أغوار وأنجاد

تلك ٱلجراح وما من بركةٍ نشفت

ولم تجد من دماها خير إمداد

تلك ٱلجراح ومَنْ يطفي حفيظتها

من بعد ما ٱحتدمت من طول إيقاد ؟

★

نشءَ العراق ألا فانضوا عزائمكم
فالعصر عصر وغىً لا عصر إخلاد

هيهات ينصفكم في ضعفكم أحدٌ
من حاضر في فجاج الأرض أو باد

فعبِّئوا من قواكم كلَّ طاقتها
فحسبنا طول إرعادٍ وإزباد

وحقِّقوا الوحدةَ الكبرى لأُمَّتكم
فما الحدود بأسوار وأسداد

حَسبُ التعاطف بالأفكار رابطة
فكيف لو كان في روح وأجساد

أيُّ القباب سَمَتْ من غير أعمدةٍ
وأَيُّهُنَّ استوت من غير أوتاد ؟

تعيا الأكفُّ بأدنى ما تحمِّلها
لولا تظافر أكتاف وأعضاد

نشءَ العراق ألا لا فاتكم أبداً
حرص الغيور وبذل المخلص الفادي

ولا هدأتم ولا نامت عيونكُم

عن الطُّغاة ولا ضاقت بتسهاد

عين العروبة ما زالت تلاحظكم

هيَّا أعيدوا لها أمجاد بغداد

لبنان

ذَرِ الدَّمْعَ المُلِحَّ يزيد وَكْفا

فما لكَ غير لبنانٍ وتشفى

صبرتَ ولاتَ مصطبر لنضو

أطلَّ على منيَّته وأشفى

بلوت الحادبين عليكَ طرّاً

فلم تظفر بأندى منه عطفا

أَظَلَّكَ في الشَّباب فكان وَكْناً

وحاطك في المشيب فكان كهفا

وَمَنْ لكَ في النَّوازل إنْ أَلَمَّتْ

بأرعى ذمَّةً منه وأوفى

كفـاكَ بـه لدى الأزمـات درعاً

وإن نابتـــك نائبـــة فســيفا

★

أغثني وارْعَ يا (لبنـان) قلبـاً

إذا خطرت له ذكـراك رفَّا

وبثَّ جـوانحي نفثـات شـعر

يحيـــل عواطفـي لهبـاً مقفَّـى

وأين من الشُّعور المحض شعرٌ

يحـــبِّره لكَ الشُّـــعراء زُلْفى

صدقتُـكَ فيـــه عاطفـتي فأفضى

بأصـــدق ما يخـالجني وأصفى

وصغت لنظمــــه حبَّـات قلـبي

فلـــم أتـرك بـه غشّـاً وزيفـا

ولو فصَّلت فيـــه سـواد عيـني

لما وَفَّى جميـــلكَ إذ يوفَّى

★

حديث الحبّ يا (لبنان) مرٌّ

لمن نضبتْ صبابته فجفَّا

وهل يحيى الحديث سوى ادِّكار

لأيَّامٍ تزيد الجرح نزفا ؟

خلوتُ أعدُّ من صفحات عمري

سِني لذَّاتها حرفاً فحرفا

فلم أذكر من الخمسين منها

سوى خمس تقضَّت فيك طيفا

ولو كُتِبت بأرضك لي حياةٌ

رضيتُ بنصفها وتركت نصفا

فما دنيايَ بعدك لي بعمر

ولو عُمِّرت بعد الألف ألفا

تنسَّكَ في حنيف هواكَ قلبي

فعاف لذائذ الدُّنيا وعفَّا

أراني حيث سرتُ أرى ضباباً

سدلت به على عينيَّ سِجْفا

وأحيا منكَ في وطني غريباً

كأنِّي قد نزلتُ عليه ضيفا

وهل أبقيتَ لي في الأرض داراً

أحنُّ لها وفي ٱلخلّان إلفا ؟

كفى بي أن يعود الودُّ كرهاً

وتصبح ندوة الأحباب منفى

ذكرتكَ والشَّدائد فوق طوقي

فما ٱستخذيتُ للأيَّام ضعفا

ولا ندَّدت بالأسقام تترى

وقد أبقينَ لي ِلأراك طرفا

ولو قدَّرن لي إطفاء عيني

لظلَّ هواك نوراً ليس يُطفا

حماني عنكَ في الأدواء داءٌ

أحاول حسمه فيزيد ِضعفا

ونازعني هواكَ فكان أقسى

علَيَّ من الضَّنى وأشدَّ عنفا

خبرتُ الدَّهر إيعاداً ووعداً

وطبعَ الدَّهر إنجازاً وخُلْفا

فلم أَرَ كاحتمال الوعد رزءاً

لموعودٍ ولا كالمطل حتفا

تطاولَ في نواكَ فهاج وجداً

وماطلَ في لقاكَ فزاد خسفا

وطال توجُّعي لكَ واحتوتني

مصائب لا أُطيق لهنَّ وصفا

كأنِّي والمنيَّةُ نُصْبَ عيني

أجاري الدَّهر أخلاقاً وعرفا

فأخلعُ من ضروب الحزن لوناً

لألبس من شتات الداء صنفا

وأذعنُ للخطوب وقد توالت

لعلَّ وراءها فرجاً ولطفا

★

أَرِحْ مُضناك يا (لبنان) وارحم
حليفَ صبابةٍ بهـــواكَ شـفَّا

ثَوَى في سـجن عزلتـــه غريباً
فما يسـطيع غـير الشَّجْو عـزفا

ولـو عـاد الـزَّمـان بـه طليقاً
لحـوَّمَ في رياضـكَ واستدفَّا (١)

وعانقَ أَرزهـا قُبَـلاً وشـمّاً
وناطفَ كـرمها ضمّاً ورشفا

وشـــاد له من الزَّيتون بيتاً
ومن أهدابه عَمَـــداً وسقفا

★

سـقاهـا الله جنَّاتٍ ظِـلالاً
تـرفُّ بشـاشـةً وتنثُّ عَـــرفا

---

(١) استدف الطائر : مر بالقرب من الارض ٠

تُناهضها الرُّبى فتتيهُ زهواً

ويرهقها الجنى فتميلُ عِطْفا

ويغمرها النَّدى فتشقُّ عنها

كثيف ضبابه وتعود تخفى

تجرُّ على طويل السَّفْح ردناً

وتلبس من نقاب الغيم شِفًّا (٢)

إذا استذرى (٣) بها رضوان أيكٍ

تهزَّأ بالجنائن واستخفَّا

وداعبَ من نسائمها أريجاً

توسَّد طيب نفحته وأغفى

خمائلُ ما نَعَيْنَ على شتاءٍ

تقشُّفَه ، ولا عاتبن صيفا

ولا هَتَكَ الخريفُ لهنَّ ستراً

ولا مرَّ الرَّبيعُ بهنَّ خطفا

(٢) الشف : الثوب أو الستر الرقيق •
(٣) استذرى : استظل •

منشَّرَةٌ على الآكام شتّى

وتلقاها على الحافات صفّا

مرفرفةٌ على شلّال ماءٍ

تناوله الصَّفا(٤) ذرّاً وندفا

كأنّ الله أطلقها خيالاً

ليجعلها على الشعراء وَقْفا

نزلتُ على مشارفها أُناجي

أُوَيْقات الشَّباب وقد تعفّى

وأحباباً أنستُ بهم عكوفاً

على كاساتهم يحسون صرفا

فمن صادينَ يحتضون زقّاً

ومن صابين يعتنقون خشفا

ومنتجعين رمّاناً وكرماً

أَبَوا إلاّ ثُديَّ التّين قطفا

---

(٤) الصفا : الاحجار الصلدة الضخمة ٠

ومُغتَرفين من سَلْسال نبعٍ

مَضَوا عنه وقد جمدوا أكفَّا

ومستوحين من (لبنانَ) شعراً

ومن أهليه آداباً وظَرْفا

رعاها الله أحلاماً تولَّت

ولم تترك سوى الآهات خَلْفا

أَلَمَّت كالخيال بنا وجازت

وجزنا بعدها لم نَدرِ كيفا

ومَنْ عند الشَّدائد من ملاذٍ

سوى (لبنان) إن أمعنَّ عسفا ؟

سلمتَ الدَّهر يا (لبنان) طوداً

على الأطواد أشمخهنَّ أنفا

كأسي

دومي دوامَ ٱلعُمْر يا كأسي
يا كوثري ٱلعذب وفردوسي
لولاك غامَ ٱلكون في ناظري
وعشت في داجٍ من اليأس
وظلَّ صدري جَدَثاً حالكاً
لم يرَ لولاك سنى الشَّمس
ما نابني همٌّ ولم تغمري
قلبي من ٱلأنس بما يُنْسي
لو حال دهري كلُّه مأتماً
كنتِ بكفِّي شمعة ٱلعرس

يا لكِ من بيضاء حبَّبتِ لي

حتَّى بياض الشَّيب في رأسي

واصلتِني الخمسين لم تضجري

والغيد يضجرن من الخمس

لو صابرَت (ليلى بني عامر)

صبرك ما طال شقا (قيس)

من ذا الَّذي مسَّتك أوصاله

ولم يزد مسّاً على مَسٍّ ؟ (١)

كأنَّ مَن لامست أنفاسه

يسكر بالشَّمِّ وباللَّمس

ما دُرْتِ في رأسٍ ولم تجعلي

من خائر العزم أخا بأس

وتتركي الرعديد في لمحةٍ

أشجعَ من (عنترة العبسي)

---

(١) المس : هو الجنون ٠

تَبّاً لعُمري إن مضت ساعةٌ

منه بلا راحٍ ولا أنس

لا تلك من يومي ولا من غدي

حتَّى ولا المقبور من أمْسي

حَسْبي هياماً فيكِ أن أجتلي

مرآك ما أصبح أو أُمسي

وأزدري الدُّنيا وما خبَّأَتْ

لي في غدٍ من طالعٍ نَحْس

كم غُمَّةٍ باللّهو فرَّجتها

تستنفرُ الموتى من الرَّمْس

وا عُظْمَ أوزاري إذا لم أزد

فيك عفافاً وتُقَى نفس

كم حرَّمَ العبدُ على نفسه

ما حلَّلَ اللهُ على القَسِّ

لا دارتِ الكأس على فاسقٍ

واصلها بالأفك والدَّسِّ

وَمَن سـوى الكأس إذا عوقِرَتْ

مَـيَّزت الشَّـهْمَ من النِّكْس (٢) ؟

فما لـه يرتاع من سـكرةٍ

تكشف من أخلاقه الشُّكْس (٣) ؟

هاتِ مع الآلام من بَلْسَمِ

كالخمـرِ عنـدَ المرهفِ الحِسِّ

وأيٌّ رجسٍ هو أن تحتمـي

من جور أيَّامك بالكأس ؟

يا حبَّـذا الرِّجس إذا لم يكن

بـدٌّ لدنيـاك من الرِّجس

---

(٢) النكس : الرجل الذي لا خير فيه ٠

(٣) الشكس : جمع شكس وهو الخلق الصعب ٠

الى السلال

« بطل الثورة اليمنية »

شَعْبٌ نزعت له رشادَهْ وسلبته حتَّى رقادَهْ
وحرمتَهُ ثمر الكفاح وكدت تنسيه جهاده
وشغلت نفسك في مها دنة الخصوم بلا إفاده
أ تُراهُ يُصلح نفسه مَنْ كان فيه الشرُّ عاده
جرِّب حسامك أو فدع لسواك أرسان القياده
هيهات ينفع في الذِّئاب الكاسرات سوى الأُباده
فأترك لغيرك أمرهم إن كان يعوزك الأُراده
أ تظلُّ متَّكئاً تطالعك الأمور على وساده ؟
ومناوؤك يزاحمونك في الحكومة والسِّياده

ويبيِّتون لك الدَّمار ... وأنت تحلمُ بالسَّعاده
ماذا ستفعلُ إن طغى ... لهبُ الحريق فكنت زاده؟
أتظنُّ أنَّكَ واجدٌ ... في النَّاس مَنْ ينعى رماده
فانظر لشعبٍ لم تكن ... حقَّقْتَ في أملٍ مراده
إنِّي لأخشى أن ترى ... ودَّ العدوِّ ولا وداده
واعطف على بلدٍ رأى ... بك سوره ورأى عماده
ماذا يضيرك في اللَّئيم ... إذا صدعتَ له فؤاده
أتخافُ ربَّكَ أن يموتَ ... المارقون بلا شهاده
جرِّب حسامك واطرح ... خُلُقَ الكرام لمن أراده
إنَّ الدَّسائس لا تُحارَبُ ... بالصَّلاةِ وبالعبادة
جرِّب حسامك في الجُناة ... الآثمين بلا هواده
الكائدين لشعبهم ... الخادعين به سواده
الفارضين على العباد ... نظام خدَّام وساده
التَّائهين بعجْبهم ... وهمُ النِّهاية في البلاده
جرِّب حسامك في رفاق ... السُّوء أتباعاً وقاده

أَرهِمْ عـواقبَ غيِّهـم　　واحسم لمفسدهم فساده

أَرهِمْ مضاءَ السَّيف فارَقَ　　غمده ونضا نجاده (١)

أَرهِمْ صيالَ اللَّيث يزأر　　بينهم أَرهِمْ جـِـلاده

أَرهِمْ ثبـاتَ الطَّود إنْ　　همُّوا به أَرهِـم عناده

أَرهِمْ جهنَّم يكتوونَ　　بنـارهـا أَرهِـمْ زياده

ما كان ربُّـك بالغشـوم　　وقد أخافَ بها عبـاده

---

(١) النجاد : حمائل السيف .

دُعاء

أَدْعوكَ يا ربَّ السَّماواتِ
تمحو من الَّلوح خطيئاتي
أَدْعوك يا أرحمَ مَنْ طبَّقَتْ
رحمته كلَّ البريَّات
أدعوك يا أكرمَ مَنْ يُرتجى
عند الرَّزايا والملمَّات
أنتَ الَّذي بصَّرتني بالهدى
بعد غروبي في الضَّلالات
لولاكَ يا ربِّي لَما أقلعَت
عن غيِّها جامحَ لذَّاتي

إن لم أكن أخلصت في طاعتي

فشافعي مخلصُ نيَّاتي

ما اقتربتَ من أجَلي ساعةٌ

إلَّا تخيَّلْتُ عقوباتي

وَيلي من الحشر وأهواله

إن نُشرت سودُ صحيفاتي

وَيلي من الله إذا لم يَتُب

علَيَّ في أحرج ساعاتي

يا دعوةَ التَّائب مَنْ شافعي

عند محيطٍ بالشَّفاعات ؟

هَبْكِ تشفَّعتِ فمَنْ ضامنٌ

أنِّي من النَّار بمنجاة ؟

وأيُّ جدوى ليَ من شافعٍ

إنْ كره اللهُ ملاقاتي ؟

يا دعوةَ التَّائب لا تقنطي

فاللهُ أدْرَى بالسَّريرات

آدمي

لِمَ أزدري خُلُقَ ٱلوحوش وما حوتْ
من غدرِ ذؤبانٍ وفتكِ ضباعِ ؟
جرّبْتُ هذا ٱلآدميَّ فلم أجد
وحشاً يضارعه شرور طباع
يزهو بتقتيل ٱلخلائق نشوةً
ويرى الدِّماءَ مباهج ٱستمتاع
يا نكبةَ ٱلبلد ٱلمروع بعصبةٍ
جمعت شراذم سوقة ورعاع
من كلِّ موتور تشفُّ خصاله
عن سوء منحَدَرٍ وسوء رضاع

في مأتم العقاد

رُزْءٌ حبستُ شجاهُ في أضلاعي
وكتبتُ بالعبرات قبل يراعي
وجعلتُ من بثِّ الفؤاد وحزنه
لحني ومن زفراته إيقاعي
وبعثتُ بالحسَرات نجوى لوعة
للمنطوين على حشاً ملتاع
المُغمضين على الدُّموع جفونهم
المُكتوين بجمرها اللَّذّاع
الصَّابرين على البلاء وما لهم
غير البُكا من عدَّةٍ ومتاع

السَّاخطين على القضاء يعمُّهم
سخط ٱلوجود ونقمة ٱلأجماع

السَّاخرين من ٱلحياة ولهوها
اَلْهازئين بزيفها اللمَّاع

دنيا على دمع تروح وتغتدي
والنَّاس منها في عنيفِ صراع

يتنازعون على زهيد متاعها
ويدُ ٱلمنون تفضُّ كلَّ نزاع

ماذا أصاب أخو ٱلحمام من ٱلغنى
غير الَّذي لاقى أخو ٱلأدقاع(١)

لو ينفعُ ٱلمثرين طول ثرائهم
زيدوا من الأكفان قَدْرَ ذراع

عجبي لمن جعل ٱلحياة غرامه
أبداً ويعلم أنَّها لضياع

(١) الادقاع : الفقر ٠

لو عاشَ هذا النَّاس في اَلْبابهم
جعلوا الرَّجاء نهايةَ ٱلأطماع

واكبتُ أحداث الزَّمان فلم أجد
كٱلموت جـدَّة منظر وسَماع

تمضي السُّنون وتستهلُّ جديدة
والنَّاس بين مشيِّع أو ناع

ونظرتُ في شتَّى ٱلوجوه فلم أقع
إلَّا على فزع لهنَّ مُشاع

وهززت للآسين عطف أساتهم
فاذا هُمُ شركاء في الأوجاع

وكشفتُ عن وجه ٱلحياة فهالني
شبحُ ٱلمنيَّة من وراء قناع

وشهدتُ أيَّامي تمرُّ فلم أجد
لأسايَ غير الدَّمع من أشياع

ماذا أمامي بَعْد إلَّا هَزَّة
ويخرُّ هذا ٱلهيكل ٱلمتداعي

أُغْرِمْتُ بالدُّنيا الهلُوكِ (٢) وزدت من
شغفي بصحبتها ومن إيلاعي
عاقرتُ لذَّتها بنشوة حالم
وجرعتُ غصَّتها بصحوة واع
وقرأتُ في الوضَّاح من قَسَماتها
أخبار أقدم عاشق خدَّاع
أذعنت للأيَّام تملي حكمها
إذعانَ مستخذٍ لها منصاع
وكرهتُ عُمراً ما عرفتُ سعادةً
في ظلِّه أو لذَّةَ استمتاع
فارقتُ أَمْسي يستحثُّ ركابه
بخطىً رواكضَ للفناء سراع
وبسمتُ لليوم الجديد يهشُّ لي
فاذا به إطلالةٌ لوداع

---

(٢) الهلوك من النساء الفاجرة .

وجَرَتْ لغايتها الحياة فنكَّسَتْ

في اليَمِّ تحت العاصف الزعزاع (٣)

وبدا على ثبج (٤) العُباب وموجه

أطراف سارية ورأس شراع

★

إيهٍ أبا الكتَّاب أيَّ محنَّك

في الرأي ودَّعنا وأيَّ شجاع ؟

بل أيَّ ثَبْتٍ في العقيدة لم يزد

في الحقِّ غير صلابة ومناع ؟

بل أيَّ جبَّار القريحة لم يغض

قلماه من وحيٍ ومن إشعاع ؟

لم تَخْلُ يَوْمَكَ من كبير مؤدِّبٍ

أو ناشرٍ لفضيلةٍ أو داع

---

(٣) الزعزاع من الرياح : الشديدة .

(٤) الثبج من كل شيء : وسطه ومعظمه .

أطلقتَ للضّاد الفصيح عنانه

في الفنِّ سبّاقاً وفي الأبداع

وكتبتَ لم تترك لِأمرةٍ كاتبٍ

قلماً ، ولا من ريشةٍ لصَناع

أجللتَ من أُمِّ اللّغات عطاءها

ومجالها في الخصب والأمراع

فمشيتَ تحملُ باليَراع لواءها

متقدّم الرّوّاد والأتباع

وعقدتَ ألْسنةَ الخصوم وما ادّعوا

فيها وما نقدوا من الأوضاع

ووقفتَ للمتهجّمين تردّهم

بسلاح أعنف زاجرٍ ردّاع

لم تقهر السّبعون منك عزيمةً

تنبو العزائم وهي في إزماع

والكاتب المقدام مارد عصره

إن هزَّ مرقمه(٥) غداةَ قراع

حاشا لمثلك أن يضعضعَ همَّه

موصول جهد أو كبير مساع

تمضي الى العُقد الصِّعاب تحلُّها

بوسيع ما أوتيته من باع

وتروضُ من شطط العقول إذا غوت

بالرَّأْي متَّئداً وبالأقناع

ما غِيظَ قلبك في شريف خصومة

أو ضاقَ ذرعك في كريم دفاع

نَزَّهْتَ طبعك أن يميل مع الهوى

بله الأثام وشرَّة الأطباع(٦)

ومنعتَ أن تدمي لسانك شوكة

أو أن يُلاثَ بشائن الأقذاع

---

(٥) المرقم : القلم ٠

(٦) الاطباع : جمع طَبَع وهو العيب والدنس ٠

وحملتَ قلبك في يمينك ناصعاً

شأن ٱلمنزِّه عن ريا وخداع

وجعلتَ من دنياك منبر حكمة

للمنصت ٱلواعي من ٱلأسماع

وبلغتَ من أُخراك غايةَ مجدها

فٱطلع بها علَماً مع الطلّاع

اصنام المال

كان قلم الرقابة قد حور بعض الكلمات في هذه القصيدة عند نشرها في ديوان (نبض الوجدان) فاعيد نشرها في هذا الديوان على شكلها الصحيح الذي نشر في كثير من الصحف والمجلات في حينه.

مَنْ زَيَّفَ النَّاس أخلاقاً وإيمانا
وصيَّرَ الرَّاهب الزِّمِّيت (١) شيطانا ؟
حلاوةُ المال لم تترك لِذي وَرَعٍ
دِيْناً ولا لرقيق القلب وجدانا
تَشْقَى الألوف لِتبني مجد طاغية
يزهو على جبروتِ الله طغيانا
وتُحْرَمُ الرِّزق كي يُجْبى لمرتزق
بالقسر حيناً وبالتضليل أحيانا

(١) الزميت : الجليل الوقور ٠

لم يَحزم ٱلبدو من جوع بطونُهمُ
إلَّا ليصبح كرش الشَّيخ ملآنا

ولو أذابوا لرغد ٱلعيش شحمتهم
شدُّوا على ٱلبطن ياقوتاً ومرجانا

قل للمدلِّ على الدُّنيا ببسطته
هل أنت أعظم من (فرعون) سلطانا ؟

سَلْ قبره الطَّود هل صانت جنادله
خزانةَ ٱلمَلك ٱلجبَّار جثمانا ؟

وسَلْ أريكته الزَّهراء هل صرخت
بنازع التَّاج أن يرتدَّ خزيانا ؟

مَنْ كان هامد إحساس بفطرته
فليس يخلق منه ٱلمال إنسانا

قد يلبس ٱلميت أبراداً مذهبَّةً
وما تزال بعرف ٱلموت أكفانا

والصَّرح كالقبر من طين ومن حجر
ما طال لولا رجاءُ النَّفع عمرانا

وما السَّحاب بمجدٍ في تمخُّضه

حتَّى يحيل أديم الأرض بستانا

لا تُرهقِ النَّفْس في أعباء زينتها

فلستَ من دميةٍ أسمى بها شانا

النَّفْس بالرُّوح لا بالْمال حليتها

والْحقُّ أبلجه ما كان عُريانا

كم مُعدمٍ عاش في دنيا قناعته

لم يَأْلُ في هوَّة الْأملاق شكرانا

وكم ثريّ ٍ تمنَّى من متاعبه

لو نام ليلته بالْفقَْر جذلانا

يا مَنْ يرى في الْغنى برهان سؤدده

بغيضُ ظلِّك خيرٌ منه برهانا

هل توَّج الدَّهر بالُحسنى أباطرةً

صاغوا لهم من دموع الشَّعب تيجانا ؟

★

أزرى (بقارون) أنداد إذا نُدبوا
خرُّوا على شحِّهم صُمّاً وعميانا

تناهبوا رزق هذا الشَّعب وٱبتدعوا
للجوع نعتاً وللحرمان عنواناً

قُلْ كلُّ مَن عَجَموا ٱلبلوى سواسيةٌ
فٱستحدِثوا من ضروب ٱلنعت اَلْوانا

مَنْ يعذل ٱلجديَ إن شُدَّت مخانقه
فٱهتاج قسورةً وٱنساب ِسرحانا ؟

ومَنْ يلوم خويَّ ٱلبطن إن جعلت
منه ٱلمجاعةُ للشَّيطان معوانا ؟

يأسو الشَّقيُّ بشافي ٱلموت ِعلَّته
ويحتسي راضياً سمّاً وذيفانا (٢)

ويجدع الظبي أنف الَّليث من سَغَبٍ
ويلطمُ الطَّير وجه ٱلبحر ظمآنا

(٢) الذيفان : السم القاتل .

وليس في الفقْر معصوم ومحترم

فقد يكاد يكون الفقْر كفرانا

هل عاهد الطغمة المثرون أنفسهم

أن لا يجودوا بمعروف وإن هانا ؟

وهل قضى العرف أن تطمو خزائنهم

سحتاً ويهلك هذا الشّعب حرمانا ؟

تملّئوا من حرام الرِّزق وادّخروا

مع القناطير لوعاتٍ وأحزانا

ومن عجائب صنع الله مملكة

تغور في جيبهم أرضاً وسكّانا

★

حُمّ الرِّجال جنوناً في تفاضلهم

فما وجدنا سوى الدِّينار ميزانا

كفى بمومس قرطاس نداولها

أن تجعل النّاس سادات وعبدانا

يا ما حنينا الى (الدِّينـار) جبهتنا

يا ما رفعنا الى (الدينار) شكوانا

يا ما عرضنا على (الدينار) أزمتنا

يا ما أخذنا من (الدينـار) فتوانا

يا ما شـــرينا بـه جاهاً ومنزلـةً

يا ما دفعنا له الأخـــلاق أثمانا

يا مـا شـرحنا لـه أسـباب علّتنـا

يا ما كشفنا لـه أسـرار بلوانا

يا ما خـلونا بـه في سـرٍّ عزلتنـا

نشكو لـه أمـر دنيـانا وأخـرانا

حـتّى لصـار نشـيداً في كنائسـنا

حـتّى لصـار دعاءً في مصـــلّانا

لم يبـقَ في الكفر إلاَّ أن نقول له

قـم يا (مسـيح) وكفِّر عن خطايانا



يا فقيراً في قوته وكسائهْ

وغنيّاً في صبره وعزائهْ

ما يرى الله في الوجود غنيّاً

كالرَّضيِّ القنوع من فقرائه

كم فقيرٍ أُريحَ بالفَقْر بالاً

وثريٍّ همومه من ثرائه

فاحمد الله أن حباك فقيراً

بأَحَبِّ الصِّفات من أنبيائه

من إلاك يا ربي

لمن أَلْجأُ يا ربِّي إذا لم تَعْفُ عن ذنبي ؟
وهل للمذنب الخاطي سوى ملجئكَ الرَّحب ؟
فأنْ فرَّطْتُ في ديني فما فرَّطت في حبِّي
وهل يخفى عليك الصِّدق في الحبِّ من الكذب ؟
فكلِّل بالتُّقى سعيي ونوِّر بالهدى دربي
وظلِّلني بألْطافك عندَ الموقف الصَّعب
لئن كنتُ على غيٍّ مع الغاوين من صَحْبي
فما كنتُ ولا كان عدُّو الله من حزبي
يقيني فيك ملءُ النَّفس في صحوي وفي شربي

وَمَنْ غيرك مَنْ يعلـــمُ بي يا عالم الْغيـب ؟

عبـدتـك غـيرَ مرتاب وهل في الْحقِّ من ريب ؟

عبـدتـك في مســرّاتي وفي سقْمي وفي كربي

عبـدتـك مسلماً حقّاً وحسـبي شاهداً قلبي

وَمَنْ إلاّك مَنْ أعبـــد مَنْ إلاّك يا ربِّـي ؟

من ليالي لبنان

أَعِرْ سَمْعَكَ نجواها وعش في ظلِّ ذكراها
لَيالٍ بعثَتْ فيكَ من النَّشْوة أقصاها
وزانت لكَ دنياكَ وأنستكَ رزاياها
ليالٍ غسلَ الطَّلُّ حواشيها فندَّاها
وجالَ الزَّهر في خُضْرِ روابيها فوشَّاها
ليالٍ عقدَ ٱلماءُ رواقاً فوق خضراها
وصبَّ ٱلعطرَ والنُّورَ رذاذاً فوق حصباها
ليالٍ هجعَ الطَّير بها إلَّا ثكالاها
وبثَّ ٱلوِرْقُ أشتاتَ تعازيه فواساها

ليالٍ نَنْشُدُ الدِّفءَ   وما حلَّ جماداها(١)
ونُرخي هَدَبَ السَّرو(٢)   ظِلالاً تتفيَّاها
ليالٍ كنتَ تغتاظ   إذا ٱرفضَّ سكاراها
وحانت نشوة ٱلكأس   وقد غاب نداماها
ليالٍ ما تسمَّعْتَ   أذان ٱلفجر لولاها
ولا هلَّلْتَ للنُّور   وقد طبَّق أرجاها

*

رَعَى اللهُ (بماديرا)(٣)   نجوماً كنت أرعاها
وأتلو رائع الشِّعر   على ضوء محيَّاها
إذا غنَّيتُ ما يطرب   أرقصت حزاناها
وإن أغرقتُ في الشَّجو   سمعتُ ٱلأَنَّ وٱلآها
وكفكفتُ حواليَّ   من ٱلأدمع حرَّاها

*

(١) جمادى : هو شهر جمادى الهجري ٠
(٢) السرو : نوع من الشجر غير المثمر ٠
(٣) فندق ماديرا في بحمدون في لبنان ٠

(أنيسي)(٤) وعزا نفسي إذا ضجَّت بشكواها
ومعواني على الدَّمعة في نحري مجراها
وخدني في اللَّذاذات سهرنا اللَّيلَ جرَّاها
وأَلْطف مَنْ جلا كأساً وأَظْرف مَنْ تحسَّاها
تحايا لك من قلبي ظِلال الأَرز مسراها
وحيَّا اللهُ (آمالاً)(٥) وأبقاك وأبقاها
وجازاني على الصَّبر بلقياك ولقياها
وهل يُعشَق إلَّاك وهل يُعبَد إلَّاها ؟
كفاني كِلْمَةٌ منكَ ومنها أتلقَّاها

---

(٤) انيس : احد اصدقاء الشاعر .
(٥) آمال : كريمة انيس .

أدب

كرَّسْتُ للأدب الرَّفيع مواهبي

وتركتُ نفسي في عذابٍ مؤلمِ

خِلْتُ الحياة على تقلُّب وجهها

قسطَ الذَّكيِّ وحصةَ المتعلِّم

فأُذا الرَّجاحةُ للأقلِّ كفاءةً

وإذا الصَّدارةُ للأصمِّ الأبكم

ليلة في الشوير

أَينَ من أرضها أديم سماها

أَيْنَ وضّاح صبحها من دجاها ؟

أين سحر يَسبيك منها غدوّاً

من فتون يُغْريك في ممساها ؟

ربوةٌ من جنان (لبنان) حلّت

من أعالي (الشّوير) (١) عالي ذراها

شارفت ليل عرسها فاسْتحالت

جذوةً من مصاغها وحلاها

(١) الشوير : احد مصايف لبنان .

مارجُ الدُّرِّ فوقها يتلظَّى

في خضمٍّ من عسجديٍّ سناها

وشظايا اللُّجين تومضُ في الأفق

وتهوي كالشُّهب في أرجاها

أتُراها تضرَّمت عن عقيق

أم على الماس لألأت صفحتاها

أم بحافاتها قذائف تبرٍ

تتهاوى في سندسيٍّ حشاها

وَهَجٌ جَلَّلَ السَّماوات نوراً

واحتوى الأرض سهلها ورباها

أَطَوى اللهُ غاسق اللَّيل وهناً

أم مصابيح عرشه أذكاها ؟

يوشك الجنُّ أن يرابطَ في الجوِّ

فراراً من رجمها وصِلاها

وإخال النجوم ترصد منها

كوكباً لاح في سحيق سماها

شُعلةٌ من وضاءةٍ وفتون

يقصر السِّحر عن بلوغ مداها

★

رُبَّ روميَّةٍ وما عرفَ الْحسن

لآرامِ (رومة) أشباها

برزت من كِناسها تتهادى

في عزيزٍ من دلِّها وصِباها

يتنزَّى الْجمان في مفرقيها

كتنزِّي الْقلوب في لقياها

عصبت رأسها بمنديل ورد

شغلتنا عن حسنه وجنتاها

وأزاحت عن هالة الصَّدر شفاً (٢)

طالما ذرَّ خلفه قمراها

لو ترانا وقد أطافت علينا

كيف يلوي بعِطْفنا عِطْفاها

---

(٢) الشف : الثوب الرقيق ٠

تركتنا ونحن بين مهيضٍ (٣)

وصريع مجدَّل بهواها

ندَّريها (٤) باللَّحظ نقتنصُ البسمة

منها ما أفلتت شفتاها

كم نصبنا لها حبائل أسر

ورجعنا وكلُّنا أسراها

يا لها من غريرةٍ ذات عُجْبٍ

ليس للنفس حيلة في رضاها

هالها أنَّنا مجوس لحاظٍ

ليس يألو تقريعنا حاجباها

فصلتنا من نار (روما) جحيماً

وأرتنا (نيرون) يذكي لظاها

★

جلَّ سحر المزمار ما فاه حتَّى

خلتَ جنّاً من عبقر أغواها

---

(٣) المهيض : مكسور الجناح .

(٤) ندَّريها : نخاتلها .

ورماها بالسمِّ في جانبيها

فلواها ومدَّها وثناها

يتمنَّى الحواة (٥) لو أنَّ أفعى

مثلها دار صدرها في قفاها

أين (موسى) وسحرهُ وعصاهُ

من أعاجيبها وسحر عصاها

تستخفُّ الموزون ذبّاً وقفزاً

لا يداها أعيت ولا قدماها

في لِداتٍ أطرى خدوداً من الورد

وأبهى جيداً وأندى شِفاها

راقصاتٍ على ترانيم عزف

لو تسنَّى لميتةٍ أحياها

إن جرى شمألاً سقاها شمولاً

أو صَبا في هديله أصباها

كلَّما نوغيت بلحنٍ شجيٍّ

هتكت وجدها وفضّت جواها

---

(٥) الحواة : جمع حاوي وهو الذي يرقي الحية .

ليت شعري أَمِن نسيمٍ وظلٍّ
أنشأ اللهُ خلقهـا وبراها ؟

يتـأوَّدْنَ أضلعـاً ويهفهفنَ
خصـوراً وينتفضنَ جباهـا

فكأنّي بهنَّ في نشوة الرِّقص
يسـبِّحْنَ بالقـدود الألَهَا

ليس يدري مفتوننا أين جازت
روحه في طوافهـا وسـراها

أَطَوَتْ قبَّـةَ السَّماء فهامت
بين جوزائها وبين سـهاها ؟

أم أنافت على الطِّبـاق فوافت
جنَّةَ الخـلد في ذرى علياها ؟

واسترادت خضراءها وتنـدَّت
برفيفٍ من ظلِّها وجناها ؟

وتغشَّـت أسـتارها فأقامت
ضيف أحلامها وأنس رجاها ؟

ليس هيناً أن تهبط الأرض روحٌ

حَظِيَتْ بالسَّعيد من مثواها

★

إيهِ (لبنان) والحياةُ همومٌ

لو بغير (العراق) خفَّ شقاها

أتعودُ (الشُّوير) يوماً فتحيي

ليلةً في جوارها نحياها ؟

ليلةً تكشف العنا وتواسي

أنفساً طال حزنها وأساها

طوَّقتنا (الشُّوير) آلاء نعمى

ليس يفنى على المدى ذكراها

لا تعدَّت أرجاءها (ليلةُ القَدْر)

ولا جاوز السُّرور فناها

ولى الشباب

لا تبتئسْ إنْ جار دهرُكْ ونعاكَ في الخمسينَ عمرُكْ
ولّى الشّباب ولم يدَعْ لكَ بعده شيئاً يسرُّك
قد كنتَ تسحر إنْ رنوتَ فأين منكَ الآن سحرك ؟
أين افترارك كالرّبيع إذا تبسَّم أين عطرك ؟
قد كان من أرَج الرَّحيق يضوع كالفردوس ثغرك
واليومَ لا ريَّاك بالرَّيَّا ولا بالخمر خمرك
هذي الدُّموع نواطقٌ عمَّا يبيت عليه صدرك
حرَّان من هجر النِّساء وكان يقتلهنَّ هجرك

سكران من لوعاتهنّ وكان من فيهنّ سكرك
هيمان تضرب في الخيال وليس يُعْرَف مستقرُّك
تهوى وتخشى أن يشيع وأنت في الخمسين أمرك
حتّى ليوشك أن يفلَّ تصبُّر الأطواد صبرك
ماذا ستفعلُ إنْ فشا بين الملاح الغيد سرُّك ؟
وعدا عليك المرجفون وجال في الأوساط ذكرك ؟
أَتقولُ أَنَّكَ بَعْدُ في شرخ الصِّبا فيضيع قدرك
هات الَّتي تحنو عليك إذا انحنى كالقوس ظهرك
هات الَّتي يحلو لها في مذبح الشَّهَوات طهرك
هات الَّتي يسمو بها في عالم الأرواح شعرك
هيهات إنْ حَكَمَ الهوى أنْ يقنع العذراء عذرك
ما الحبُّ شعرك حين تنشده ولا الأغراءُ نثرك
سِمَةُ الهوى سيماك سافرة الجمال وليس سِفْرك
مَن يرتضيك إذا هرمت وزيَّنَ القرطاس سطرك ؟
أَوَ ليس دمعك ما يرقرق في العيون وليس حِبرك ؟

أَوَ ليس قلبك ما يصفِّقُ   في الضُّلوع وليس فكرك ؟
تَعِظُ القلوبَ ومِنْبرُ   الوعَّاظ قبل الموت قبرك
وتسفِّه الدُّنيا الغرور   وليس غيرك من يغرُّك
ولَّى شبابك وانتهيت   وزال من مرآك بِشْرك
وفرغت من كيِّ القلوب   وعاد يلذع فيك جمرك
لم يَبْقَ عندك إنْ دعا   داعي الصِّبا إلَّا مفرُّك
يكفيك من عَبَثِ الصِّبا   أنْ طبَّقَ الآفاق وِزْرك

نجوى

(آمالُ) يا فتنةَ دنياكِ — أيُّ مـلاكٍ يتحدَّاكِ ؟
بل أيُّ حسناء على تيهها — أخجلها غير محيَّاك ؟
عيناكِ ما الفجر إذا شعَّتا — وما الضُّحى إنْ رفَّ خدَّاك ؟
ما افترَّ لي وجهكِ عن حسنه — إلاَّ تدلَّهْتُ بمعناك
من أينَ للخمرة هذا الجَنَى — يملؤ من فغوته(١) فاك ؟
من أين للزَّهرة هذا الشَّذا — إنْ نفحت بالطِّيب ريَّاك(٢) ؟
من أين للؤلؤ هذا السَّنى — يلمعُ من غرِّ ثناياك ؟

---

(١) الفغوة : نفحة الطيب .
(٢) الريَّا : الريح الطيبة .

كم قُبلةٍ عوطيت نابت بها　　عن ثغركِ الوردي كفاك

وخمرةٍ عاقرتُ جادت بها　　عليَّ بالتفتير عيناك

ما أسعدَ الحظَّ لمن ضمه　　صدركِ أو عاطاه نهداك

حَسْبي إذا بادلتني نظرةً　　عذريةً غَيْظُ أحباك

(آمال) ما أعذبها لفظةً　　تنعش آمال معنّاك

ما وقعت عيني على خلّةٍ　　فيك ولم تعشق سجاياك

قلبي فدى قلبك من طاهرِ　　سيماهُ في ظاهر سيماك

سَلي أباكِ البرَّ وليبقَ لي　　فمثلما أهواهُ أهواك

سليه مَنْ أوحى الى قلبه　　أنّكِ آمالي فسمّاك ؟

(آمال) لو تدرين ما شفّني　　بعدك من حزن لأضناك

أفزع في الصُّبح الى عَبْرتي　　وأقطعُ اللّيلَ بنجواك

أَحْسبُ يومي ساعةً ساعةً　　منتظراً ساعة لقياك

ما ابتدرتني بسمةٌ حلوةٌ　　إلّا تذكّرتُ تحاياك

(آمال) لا أُنبيكِ عن غربةٍ　　صارعتُ فيها الموت جرّاك

كفى بنور العين من فديةٍ　　يحسدني فيها ضحاياك

فألهمي الصبرَ أخا لوعةٍ ... لو باحَ بالوجد لأبكاك

(آمال) ما أبعدَ ما تنمحي ... من خاطري ما عشتُ ذكراك

أينَ التي ألقى بها جنَّةً ... غيركِ في عيني لأنساك ؟

(آمال) ما آلمَها قسوةً ... أن تهجري مَنْ كان يرعاك

إنْ كنتُ أذنبتُ فمَنْ ذا الذي ... يشفعُ للتائب إلّاك ؟

هل خانك الصفح فلم تعذري ... عبدك في الحبِّ ومولاك ؟

وهل خلا قلبك من رحمةٍ ... حاشاكِ يا (آمالُ) حاشاك

لو كنتُ أدري سرَّ شكواكِ لي ... جعلتُها آخر شكواك

لا تحكمي ظلماً على شاعرٍ ... ألهمتِهِ الشِّعر فغنّاك

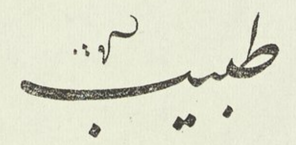
هل تنفع المعذور أعذاره ... إنْ كرهت تسمع أذناك ؟

كم خبرٍ منّي تلقَّيتِهِ ... فما الذي جدَّ فألهاك ؟

أغراك بالنسيان طول النّوى ... وليته بالشّوق أغراك

ما ضرَّ لو أنصفتِني ليلةً ... وزارني في الطَّيْف مرآك ؟

أهكذا تقسين يا حلوتي ... رحماك بالشّاعر رحماك



وطبيبٍ لَبَّى ندايَ وجسمي

يتلوَّى طولَ الدُّجى آلاما

جسَّ نبضي كمَنْ يجسُّ عليلاً

يوشك الصُّبْحَ أن يموت سَقاما

فحماني من أنْ أعلَّ شراباً

ونهاني عن أنْ أذوقَ طعاما

لكأنِّي به يعالج لحماً

ويداوي جلداً ويشفي عظاما

أيُّ طبٍّ هذا الَّذي ليس يدري

أَسقاماً ما أشتكي أم غراما ؟

حامد

لا كانَ هذا العمر يا (حامدُ) (١)

فرحةُ يومٍ وأسىً خالدُ

لم تُبْقِ قلباً لم يذُبْ حسرةً

أو مقلةً محجرها جامد

أيُّ رجاءٍ ظلَّ في خيِّرٍ

أرجوهُ والموت له راصد ؟

ما جالَ يوماً قطُّ في خاطري

أَنَّكَ قبلي جسدٌ هامد

---

(١) حامد : هو المرحوم السيد حامد الراوي صديق الشاعر الحميم.

يا لَمصابٍ لم يَدَعْ سلوةً

يسلو بها عن وجده الواجد

أَيْنَ نَدَى كفِّك فيَّاضةً

يدفقُ منها الكوثر الرَّافد ؟

وأين راضي خُلُقٍ طيِّبٍ

يلقى به نجعته الرَّائد ؟

وأين مفترٌّ جَنَى غرسةٍ

تعهَّدتها الأُمُّ والوالد ؟

أيلتوي ضاحك نوَّارها

وغصنها بَعْدُ بها مائد ؟

ما أفدحَ الخطب لدى آمل

يُسْلَبُ منه الأملُ الواحد

ذكراك يا (حامدُ) لا تنمحي

منِّي وهذا مدمعي شاهد

فَجَعْتَ بيتاً هجت من حزنه

ما لا يطيقُ الجبلُ الصَّامد

رَجَّعَ(٢) في نعيك مستعبراً (٣)

فضجَّ يبكي الملأُ الحاشد

لا حُرِمَ (الرَّاوون) (٤) من ماجدٍ

يخلفه إذا قضى ماجد

---

(٢) رجّع : قال انا لله وانا اليه راجعون .

(٣) استعبر : ذرف العبرات .

(٤) الراوون : هم آل الشيخ ابراهيم الراوي وكان المرحوم المرثي من هذه العترة .

إستغفار

غفرانَكَ اللَّهُمَّ ربِّي ... لكبير معصيتي وذنبي
تابعتُ غيِّي سادراً ... بين الغواة فجلَّ خطبي
وأمرتني بالصَّالحات ... فأعمتِ الشَّهوات قلبي
ونهيتني عن كلِّ ما ... لا ترتضيه فلم أُلَبِّ
وتركتني وأنا الضَّعيف ... حليف أسقامي وكربي
ومنحتني الصَّبر الجميل ... فكنتَ تعزيتي وطبِّي
وجعلتَ من فزعي لديكَ ... مزيد أشواقي وحبِّي
وعمرتَ قلبي باليقين ... وكنتُ في غلواء ريبي
ووهبتَ لي رَشَداً أصونُ ... به من الأهواء لُبِّي
وفتحتَ صدري كي يراكَ ... وإنْ سددت عليَّ دربي
وشملتني بكريم لطفك ... لا أُراع وأنتَ قربي

جاحد

خرجَ اللّئيم عليَّ ينكرُ منّتي

وبجيده نِعَمي الّتي لا تُنكَرُ

مَن ذا الّذي سلمت جوازي فضله

من جاحدٍ يشكو وبَرٍّ يشكر

حتّى الّذي فطرَ الخلائقَ كلَّها

خَلْقٌ يدين به وخَلْقٌ يكفر

في سطور

تيهي بمُخْملكِ الحريرِ وتنقَّلي بين الزُّهورِ
بينَ البنفسج والأقاح مرنَّحين على الغدير
والورد يضحك للنَّدى والفُلُّ يقذف بالعبير
تيهي على مرح الصِّبا بشبابك الغضِّ النَّضير
واغني بحلَّة دفَّتيك عن الغلائل والحبير
تيهي بما في مُلْتَقَى شفتيك من نارٍ ونور
وتنفَّسي عن عابقِ الرَّيحان في اليوم المطير
تيهي بقدِّكِ هازئاً بطراوة الغصن الطَّرير
ما رفَّ معقودُ الجَنى كرفيف معقود الخصور

تيهي بدلِّك إنْ تمايس	كلُّ ذي دلٍّ غرير
واسْتنهضي نهديك يحتذيان	حذوك في الغرور
المفعمينِ بخير ما	حوت الزَّنابق من عطور
التَّوْأمين تراضعا	دَرَّ المراشف والثُّغور
الأمْردين سباهما	حبُّ التَّبجُّح والظُّهور
البُرعُمَين تَبَوَّءا	رفَّافَ عرشهما الوثير
أين البراعم في الغصون	من البراعم في الصُّدور ؟
تيهي على أترابكِ	الخَفِرات من عِينٍ وحور
المُترفات النَّاعمات	النَّاشيات من السُّرور
الرَّائحات الغاديات	كمثل أسراب الطُّيور
تيهي بأسمى ما لديك	من العواطف والشُّعور
بالحبِّ ينفح طيبه	من قلب عذراءٍ طهور
(آمال) يا زين الحسان	وجلَّ حسنك عن نظير
شوقي وكلُّ عواطفي	حبَّرتها لك في سطور

إكليل الأربعين

في ذكرى شهداء الوثبة العراقية الذين هزموا معاهدة (بورتسموث) سنة ١٩٤٨ في معركة الجسر الفاصلة في بغداد والتي صبغت شاطئي دجلة بدم الاحرار من الشباب

رَشَأٌ بغَيهبةٍ (١) أَغارْ — سَلِمَ المُغير من العِثار
صَدَعَ الزِّحام بمنكبيهِ — ودونه الأَسَل الحِرار
ومضى فلم يمسك به — روحُ التَّهَيُّب والحَذار
بَغَتَ القريع بهمَّةٍ — في الشَّاطئين لها أوار
يذريه خرطوم الحديد — فلا يزيد سوى استعار

كان قلم الرقابة يومئذ قد حور بعض اشطر هذه القصيدة عند نشرها في ديوان (نبض الوجدان) فنعيد نشرها في هذا الديوان على شكلها الصحيح .

(١) الغيهبة : الجلبة في القتال .

يَنحـــو له أنَّى نَحـا ويدور من حيث أُستدار

فكأنَّما أُنهمر الرَّصاص عليه في وَهَجِ النُّضـار

يصطـــاده بيمينـــه فاذا هوت رفعَ الُيسار

آلَى ليملأ صـــدره منـه بأوسـمة اُلفخـار

هَمَسَ الشَّباب بأذنـه حُلُمَ اُلعرائس بالنِّثار (٢)

فرأى اُلوميـض بشـارةً جاءت على غير اُنتظـار

يكبو وينهض هاتفاً كالرِّيح ليس لـه قـرار

إنْ فاتـه غـدر الذِّئاب فحسبه كرُّ اُلمهار

لا اللَّيْلُ عطَّلَ ساعديه عن اُلكفاح ولا النَّهار

غارُ اُلبطولة فوق مفرقه ضمــادةُ جُلَّنـــار

فتكت به زُرْق النِّصال فما تشبَّثَ باُلفـــرار

مَنْ كان عـدَّته اُليقـين فلا نكوصَ ولا اُندحار

لم يدرِ ذائده أمصطدمٌ بأهيـف أم جـــدار

وإذا النُّفوس تنمَّـرت مسكت بأشداق النمار (٣)

---

(٢) النثار : هو ما ينثر في العرس على الحاضرين .
(٣) النمار : جمع نمر .

خَفَرَتْ شبيبته فخطَّ		من النَّجيع لها عِذار
يهتزُّ من طربٍ بمشْيته		وما ذاقَ ٱلعقـــار
غرزت بجنبيـه ٱلحراب		فما أفاقَ من ٱلخُمار
قـد يسْـكَرُ ٱلمتظـلِّمون		عـلى بسـاط دمٍ ونار

★

مَنْ ذا أباح دَمَ الصَّغير		رأى كبيرَ ٱلقوم جار ؟
أ تُراهُ أعياهُ ٱلعُقـاب		فشكَّ حوصلة ٱلكَنار ؟
للهِ نومتــه الرَّضيَّــة		لا وســاد ولا دثار
ودَّ (ٱلبراق) لو ٱستقلَّ		جناحه الـدَّامي وطـار
اللهُ باركـه وبـارك		قِبْلتيه عـلى غِـــرار
طُلبَ ٱلخلاصُ على يديه		فهبَّ من غير ٱعتـذار
أَكْبِرْ بمعصومٍ غلَت		فيـــه حميَّته فثـار
خـطَّ ٱلخـلود براحتيـه		وشـاد من دمـه منـار

★

أمثير ذكرى الأربعين أثرت أوجع ما يثار
زرت الشهيد معفراً ماذا خلعت على المزار ؟
أوضعت إكليل المنون عليه أم إكليل غار ؟
أغمرته بالورد أم بسخين أدمعك الغزار ؟
حقُّ الشهيد عليك أكثر من طوافٍ واعتمار (٤)
نمِّقْ لغضِّ شبابه ورداً كمهجته ازدهار
نمِّقْ له زُهْرَ الأماني لفَّ ضاحكها السرار (٥)
نمِّقْ له ثكل الأمومة والعشيرة والدِّيار
نمِّقْ له شعباً تخبَّط بالضَّحايا فاستثار

★

أسياسةٌ هي أن يُعَنَّف بالوديع فيُسْتثار ؟
عُجْب المدلِّ إذا طغى جرَّ الحياة الى دمار
حُمم الجبال زحامها والضَّغط آخره انفجار

---

(٤) الاعتمار : الزيارة والحج .
(٥) السرار : آخر ليلة من ليالي الشهر .

يتعلَّلُ المظلوم أَنَّ لـه مع الظُّـلّام ثار

سخريَّةُ التَّاريخ أَنَّـك بَعْـدُ تهزأُ بالصِّغـار

أ رأيتَ كيف يد الصَّغير تكون فوق يد الكبار ؟

أ رأيتَ مَنْ صرعَ العتوَّ وفـكَّ أغلال الأَسار ؟

أ رأيتَ مَنْ هزمَ الجحافلَ بالعصـيِّ وبالحجـار ؟

لا يأخذنَّـكَ بالضَّعيف شـعور هُـزْءٍ واحتقـار

سُحُبُ الدُّخان من الفتيلة والحريـقُ من الشَّـرار

هل مالَ بالدَّوح العريق سوى الدَّقيق من الغبار

سهمُ المنيَّـةِ شوكةٌ واللهُ ربُّـكَ ذو اقتدار

وزير قاسم

يا جارحي بلسانه والحقدُ ملْءُ جَنانه
خلِّ (الحطيئة) نائماً واحذر (جرير) زمانه
وتوقَّ شعري عائذاً بالله من شيطانه
أنا إنْ هززتُ منيعَ جاهك خرَّ من أركانه
وتركت رأسك في الحضيض يدور من غثَيانه (١)
ماذا تريد من (الزَّعيم) (٢) تثير من أضغانه ؟
ومَن (الزَّعيم) أخافه وأخاف من سلطانه ؟
ومَن (الزَّعيم) إذا قرنت مكانتي بمكانه ؟

---

(١) الغثيان : الاضطراب الى درجة التقيؤ .
(٢) الزعيم : كان لقب عبدالكريم قاسم دكتاتور العراق .

وَمَنِ (الزَّعيم) ولا أَذَلُّ		عليه من هَذَيانه ؟
هل (للزَّعيم) زعامةٌ		إلَّا على صبيانه ؟
لا أَيَّدَ ٱللهُ (الزَّعيم)		وأنت من أعوانه
وكفى بمثلك أن يكون		دعامةً لكيانه
عاش ٱلوزير ٱلقاسميُّ		على حقارة شانه
عاش ٱلوزير وإنْ يكن		وزراً على أوطانه
عاش ٱلوزير مجلَّلاً		بٱلعار من غلمانه
عاش ٱلوزير تهبُّ ريحُ		ٱلفسق من أردانه
ينهى ويأمر غاضباً		وٱلبول في سيقانه

شاعرٌ وعقار

أيُّ عبءٍ عليكَ هــذا النَّهارُ
لا نَــدامى بهِ ولا ســمَّارُ

أجمالُ الحياة غــير نديمٍ
تصطفيه وغير كأسٍ تُدار ؟

وحبيبٍ إذا تنفَّس هبَّــت
من نواحيه نسمةٌ مِعْطار ؟

وَلَبِئْسَ النَّهار إنْ هامتِ النَّفس
فــلا حانــةٌ ولا خَمَّــار

رُبَّ ليلٍ تحييه أســوَدَ داجٍ
لا يضاهيه في الجمال افترار

ونهار ما ذرَّ في ٱلأفق إلّا

لتــذرَّ ٱلهمومُ وٱلأكدار

أَفَحَتْمٌ عليَّ أنْ أهجع اللَّيــلَ

وتأبى أنْ تهجــعَ ٱلأوطار ؟

ولمَ النَّوم ما وجــدتُ حبيباً

همُّه اللَّيــلَ شاعرٌ وعقار ؟

ولمَ الصَّحْو وٱلحياة شــرابٌ

ونــديمٌ وقُبْــلَةٌ وحوار ؟

ولمَ الصُّبح إنْ تجهَّــم يومي

وٱكفهرَّت بوجهيَ ٱلأنوار ؟

حبَّــذا اللَّيل موعداً لحبيبٍ

أقســمَ الدَّهْرَ صبحهُ لا يُزار

يا حبيــبي ويا نجيَّ فؤادي

أَمِنَ ٱلكأس إنْ حضرتَ فِرار ؟

رشفةٌ منك تغمر الصَّدر طيباً

وبأخرى يزول عنــه ٱلأوار

يا حبيـــبي ومـا عرفت حبيباً

من نسيم الصَّبا عليه أغـار

أتمنَّـاك جنَّـــةً في عيـــوني

وجحيماً إنْ حـــدَّق النُّظَّار

أكبح الشَّوق جامحاً في فؤادي

فيرى الـــدَّمع طـافحاً فيثار

يا حبيـبي وأيُّ قلبٍ كقلبي

ناصـــعُ الحبِّ مـا عليه غبار

أنتَ إلهـامُ خاطري في منـامي

وكتابي إذا أطـــلَّ النَّهـار

أتمنَّـاك لو قـرأْتَ شـــعوري

وتغـنَّت بغـــيرك الأشـــعار

أنت أسمى من أنْ أَبُثَّكَ شعراً

يزدريـــه جمـــالك القَهَّار

أيُّ حُسْن كحسن وجهك معنىً

كلُّ مـا فيه جدَّةٌ وابتكار ؟

يا حبيبي وأيُّ حُبٍّ كحبِّي

لهبٌ من عواطفٍ وشرار ؟

أرقبُ ٱلوصلَ جازعاً ونصيبي

أبدَ الدَّهر موعدٌ وٱنتظار

أيُّ حظٍّ في ٱلعاثرينَ كحظِّي

تتبارى في نحسه ٱلأقدار ؟

كلَّما قلتُ في غدٍ لي لقاءٌ

خاب ظنِّي وجاءتِ ٱلأعذار

يا حبيبي غمرتَ (بيروت) لطفاً

(وبغداد) من فراقك نار

ولَنِعْمَ ٱلعزاء لو كان يغني

عن لقاك ٱلحديث وٱلأخبار

ومتى نابَ عن مرادٍ خيالٌ

وأعادَ ٱلعهد السَّعيد ٱدِّكار ؟

ليت نفسي قضت (ببيروتَ) نحباً

وٱستقرَّتْ بها ونعمَ ٱلقرار



وفَيْتِ يا راحُ فلا تغدري
ما دمتُ في حُبِّكِ لم أكفرِ
أفنيتُ عمري فيكِ لم أفترق
عنكِ ولم أسأم ولم أضجر
زَيَّنْتِ لي السُّكر ولذَّاته
حتَّى انْقضى الْعمر ولم أشعر
خمسونَ لم أعرف بها ليلةً
فارقتني فيها ولم أذكر
لا تعبئي بالشَّيب في مفرقي
فليس طول الْعمر بالْمظهر

شهدتِ (فرعون) وأهرامه

وعرش (بلقيس) فلم تكبري

لو قستُ عمري بك لم يبق لي

عمرٌ سوى ما مرَّ من أشهر

لستِ بمن يغريه شرخ الصِّبا

أو أنتِ من يحفلُ بالمنظر

ولستِ في سوق الهوى سلعةً

لمن يبيعُ الحبَّ أو يشتري

مَنْ ذا الَّذي أشممته نفحةً

من خدِّك الورد ولم يسكر ؟

يا حلوةَ الرِّيق وكم موثر

حلاوةَ السُّكْر على السُّكَّر

هل عرف الأُنس وهل ذاقه

مَنْ لم يذق فاكِ ويستكثر ؟

كم جاحدٍ فضلكِ مستنكر

عليَّ ما ليس بمستنكَر

عاتبني فيك فلاحيته

فزاد في ٱلعَتْب ولم يعذر

لا بورك النَّاصح من جاهل

وتبَّ إفك الطِّبِّ من مُفْتَرَ

كم بين مَن يوليك شكرانه

وبين مَنْ يرميك بٱلمنكر

هل أنتِ إلَّا قبسٌ من سنىً

يبدو به ٱلأعمى من ٱلمبصر ؟

يا راح كم أهديتِ لي قُبْلَةً

شممتُ فيها أَرَجَ ٱلعنبر

مسكيَّةَ ٱلأنفاس إن شمَّها

ميْتٌ ببطن ٱلأرض يستعطر

يا راح زيدي مَرَحي نشوةً

فلستُ ما عشتُ بمستهتر

أكادُ إنْ فارقتني ساعةً

أسألُ نفسي كيف لم تصبر

دنيايَ لولاكِ بلا لذَّة
وأيُّ فردوسٍ بلا كوثر ؟
كم آثر العاشقُ معشوقةً
غيرك يا راح فلم أوثر
لو قدَّرَ اللهُ وفارقتني
دعوتُ أنْ أَلْقاك في المحشر
ما لذَّة العمر إذا لم أذق
خمراً ولم أعشق ولم أسهر ؟
ليدَّعِ النَّاسكُ ما يدَّعي
وليزدرِ الصَّالح ما يزدري
يا راح جلَّ اللهُ من غافر
ذَنْبَ عظيمُ الذَّنْب مستغفر

صدى اليأس

متى ينجابُ عنكَ دُجى الخُمولِ
وتشهدُ صحوةَ النَّومِ الطَّويلِ ؟
تبلَّج نور هذا العصر حتَّى
أصابَ العُمْيُ فيه هُدى السَّبيل
فهلَّا بثَّ فيك قليلَ وَعْيٍ
وإدراكاً ولو دون القليل ؟
تأمَّلْ في شعوب الأرض طُرّاً
أظَلَّ سواكَ يرسفُ في الغلول ؟

تيقَّظَ مَنْ ظننتَ لكلِّ مَيْت

معاداً غير نومهمُ الثَّقيل

رأَوا دونَ النُّزول لحكمِ باغٍ

موآثرةَ النِّزال على النُّزول

ألم تسمع لزأرتهم دوّياً

يجلجل في الهضاب وفي السُّهول ؟

ألم تشهد لوثبتهم صراعاً

تميدُ الأرض فيه من الذُّهول ؟

مشوا يبنون في فخرٍ عُلاهم

بعزمٍ هازيءٍ بالمستحيل

وخاضوها معامعَ من كفاحٍ

أقضَّت كلَّ محتلٍّ دخيل

لِمَنْ تلكَ الخلائقُ زاحفاتٍ

تدقُّ بشائر الحَدَثِ الجليل ؟

لِمَنْ تلكَ الشَّوارع طامياتٍ

كمدِّ السَّيل يبحث عن مسيل ؟

لِمَنْ تلكَ النِّساء مزغردات
تصفِّق للجريحِ وللقتيل ؟
تعالَى ٱللهُ ماحقُ كلِّ باغٍ
وناصرُ كلِّ مخذولٍ ذليل

★

أَفِقْ إنْ كنتَ في أحلام مجدٍ
نذرت له حياتك للوصول
فما كانَ ٱلهوانُ سبيلَ عزٍّ
ولا كانَ ٱلمنالُ عطا منيل
تراكضتِ الشُّعوب إلى مداها
فأين مكان صفِّك في الرَّعيل
وأينَ ٱلقادرونَ على كفاحٍ
تخورُ أمامه هممُ ٱلفحول
أهذا الرَّهْطُ من جيلٍ عتيقٍ
تقادَمَ عهده بين الطُّلول

أمِ ٱلجيل الجديد وقد رُزئنا
بجيل بزَّ سيرة كلِّ جيل

فلا ٱلأهدافُ ساميةُ ٱلمرامي
ولا ٱلأخلاق زاكية ٱلأصول

تخلَّوا عن عقائدهم ودانوا
بمختلف المباديء وٱلميول

ودبَّت لَوْثَةُ الشَّهوات فيهم
فما تدري ٱلهجين من ٱلأصيل

مناسكُ حجِّهم صالاتُ رقص
وزمزم طهرهم صافي شمول

يَزين وقار أمثلهم وقاراً
ترنُّح عِطْفه عند ٱلمثول

إذا ٱستنهضته لعصيبِ يومٍ
تكسَّر في يديك من الذُّبول

وأبدى للميوعةِ كلَّ زيٍّ
سوى لبس ٱلخلاخل وٱلحجول

تكادُ الرِّيحُ تجرحُ عارضَيْه

وتحرقُ خدَّه شمسُ الأصيل

★

أَرِحْنا ما لسقمك من علاجٍ

ولا لشديد كربك من مزيل

أرِحْنا ما لصحوك من رجاءٍ

ولا لقريب بعثك من دليل

أرِحْنا واْسترح من غَثِّ نشءٍ

بليت به ومن جيل هزيل

وعِزِّ بنيك بالأُذلال دهراً

وبالتَّشريد خاتمةَ الْفصول

يا موج

يا موجُ يا أملسُ يا ناعمُ
يرقصُ فيه الزَّنْبَقُ العائمُ
إنْ حامَ في أرجائه حائمُ
هشَّ إليه البرعمُ النَّائمُ

يا موجُ يا أملسُ يا ناعمُ

يا موج لولا صدركَ الشَّائلُ
خافَ على أطيارك الزَّاجلُ
مالَكَ لا قَعْرٌ ولا ساحلُ
إلَّا عُبابٌ صاعدٌ نازلُ

يا موج يا أملس يا ناعم

الشَّمْسُ في صحنكَ وٱلكوكب

كلاهما من ظمأٍ يلهبُ

تلك لظى أشواقها تسكبُ

وذاك من أحداقها يشربُ

يا موج يا أملس يا ناعم

واللجُّ بين ٱلعجز وٱلكلكلِ

آخرهُ يمسكُ بٱلأَوَّلِ

يرتطمُ ٱلأعلى على ٱلأسفلِ

ويدفعُ ٱلمدبر بٱلمقبلِ

يا موج يا أملس يا ناعم

وٱلبحرُ لمَّا هاجَ بركانُهُ

وٱنطلقت تسبحُ نيرانهُ

رفَّ على ٱللؤلؤ عقيانهُ

وٱهتزَّ فوقَ الدُّرِّ مرجانهُ

يا موج يا أملس يا ناعم

والـرَّبْوَةُ ٱلغـرقى بأزهـارهـا

لم ينـجُ منهـا غير أطيـارهـا

إنْ رفرفَ الشَّـوقُ بأوكارهـا

مـدَّت له ناعـــمَ منقـارهـا

يا موج يا أملس يا ناعم

النَّشْـوَةُ ٱلمحمومـةُ الصَّاديَـهْ

تصـرخُ في لُجَّتـك الطَّـاغيَـهْ

والـدَّمْعَـةُ ٱلمجروحـةُ الدَّاميَـهْ

تجهشُ في قبَّـتـك ٱلعـاليَـهْ

يا موج يا املس يا ناعم

وكاتـمُ الشَّـــوق على صـبرهِ

يحـرقُ عينيـــه على نحـرهِ

حشرجتِ ٱلأوتار في صـدرهِ

فولولَ النَّـاي عـلى ثغـــرهِ

يا موج يا أملس يا ناعم

اَلْفجرُ يسبيك بترتيلهِ
فتوقظ الشَّمس لتقبيلهِ
كراهبٍ خفَّ لأُنجيلهِ
يقرؤه في ضوء قنديلهِ

يا موج يا أملس يا ناعم

يا موجُ كم أغريتَ من ظامئ
مدَّ جناحيه على الشَّاطئ
وخاضَ في عالٍ وفي واطئ
يبحثُ عن ينبوعك الدَّافئ

يا موج يا أملس يا ناعم

يا موج جئناك على زورقِ
نجذفُ بالسَّاعد والْمرفَقِ
جزنا مخاضَ ٱلبرزخ الضَّيِّقِ
نمضي الى ٱلأعمقِ فٱلأعمقِ

يا موج يا أملس يا ناعم

صبابةُ الشَّـــوق لمن أبحرا

أنْ يهـدأ اللَّيـل وأنْ يُقْمـرا

فليتَ غـيرَ الثَّغـر مـا نـوَّرا

وليتَ غيرَ الصَّـدر ما عطَّـرا

يا موج يا أملس يا ناعم

أهذا الحب

أهذا الحبُّ يا قلبُ أهذا كلُّه حبٌّ ؟
أهذا الحبُّ لا نومٌ ولا أكلٌ ولا شرب ؟
أهذا الحبُّ لا يجدي به نصحٌ ولا عتب ؟
أهذا الحبُّ لا يقوى على تطبيبه طبٌّ ؟
أهذا الحبُّ يا قلبُ أهذا كلُّه حبٌّ ؟

★

تصبَّرتَ على الوجد وجاوزتُ مدى الصَّبر
متى تشفى جراحاتي ويخبو مكمن الجمر ؟

وهذي الغمّةُ الكبرى   متى تنزاحُ عن صدري ؟
وهذا المدمعُ الجاري   متى يرقأُ لا أدري ؟
أجبني أيُّها القلبُ   أهذا كلُّه حبٌّ ؟

★

أَبُثُّ النّاسَ أوجاعي   وما لي من يواسيني
كأنْ لم يبقَ مَن يصغي   إلى أنّاتِ محزون
فؤادي في تباريحٍ   شفاها غيرُ مضمون
وطرفي شبهُ مكفوفٍ   وعقلي شبهُ مجنون
حناناً أيُّها القلبُ   أهذا كلُّه حبٌّ ؟

نسر الشباب

فيِ العزمِ من إيمانكَ المتصلِّبِ
سِمةُ الشَّباب الحافز المتوثِّبِ
مَكَّنْتَ نفسكَ من كريم أصولها
فتنفَّسَتْ عن كلِّ خُلْقٍ طيِّب
حَزْمٌ يرافقُه رقيقُ شمائل
وجراءة قُرِنَتْ بحسن تأدُّب
قَرَّتْ عيونُ مؤمِّليكَ وطالما
أنعشتَ آمالَ القلوب الخُيَّب
إنْ يَحْسِروا لك بالدُّعاء رؤوسهم
فجزاءُ ما ظفروا به من مكسب

سلكوا سبيلَ مجـرِّبين فأوعثوا(١)

فتنكَّبوا لسبيل غـير مجـرِّب

مـا نفعُ تجربةٍ يصرِّفُ أمرهـا

عقلٌ حيـاكته نسيجُ العنكب

مـا لونُ تجـربة يشفُّ قنـاعهـا

عن نابِ ثعبـانٍ وشوكة عقرب

ذقنـا تحكُّـم عصبة لم يعرفوا

غـير انتفـاخ جيوبهم من مأرب

مـا تمتـلي أطمـاعهم من مأكَلٍ

أو ترتوي أحقادهم من مشرب

من كلِّ نهَّاشٍ بهم مستذئبٍ

أو كلِّ عضَّاضٍ بهم مستكلب

مـا لاذ ممتَحَنٌ بـه في شـدَّةٍ

إلَّا وكشَّـرَ عن فمٍ متحلِّب

(١) اوعثوا : وقعوا في طريق عسر السلوك .

أحماةُ مملكة وهُمْ ذؤبانها

ورعيلهم في كلِّ قاعٍ معشب ؟

إن يظفروا بكَ في مذادكَ راتعاً

نحساً ليومك من ذواتِ المخلب

عبثاً تحاولُ ما ملكتَ وسيلةً

إرهابَ حشدِ غنيمةٍ متألِّب

إنْ كان من أسفٍ يحزُّ قلوبهم

فذهولهم عن نعمةٍ لم تُسْلَب

كيفَ السَّبيل الى علاجِ نفوسهم

كيفَ السَّبيل الى شفاءِ الأجرب ؟

★

حَسبُ المناصب أنْ تسامَ رخيصةً

للرَّاغبين وأين مَنْ لم يرغب ؟

لو كنتُ أملكُ خسَّةً لشريتها

وجعلتها سَنَدي وباب تكسُّبي

أ تُرى أفوزُ ولو بطيف خيالها

يا بُعْدَ ما حاولت من مُتَطَلَّبِ

من أين لي شرف الشُّمول بلطفها

ما دمتُ لا عمِّي الوزير ولا أبي ؟

فضلُ الحصافة والثَّقافة والحجى

من دونه فضل القريب الأنسب

وأخو الكفاءة مَنْ يكون منافقاً

أو خائناً أو طائفيَّ المشرب

ما شكلُ مملكةٍ نواصلُ دونها

صعب الكفاح ونزدري بالأصعب؟

أ هي التي تبْنى على متسلِّطٍ

إنْ رامَ قتل الشَّعب لم يتهيَّب ؟

أهي الّتي تبْنى على متخرِّصٍ
في الأدعياء وجاهلٍ متعصب ؟

أهي الّتي تبْنى على متشبِّثٍ
بنيابةٍ أو طامع في منصب ؟

أهي الّتي تبْنى على متلوِّنٍ
ذي صفحتين مراوغٍ متقلِّب ؟

أهي الّتي تبْنى على متملِّقٍ
للأجنبيِّ مرجرجٍ متذبذب ؟

★

نِسْرَ الشّباب ومجتلى آماله
ومناره في يومه المُترَقَّب

غُمَّ الشّباب بطولِ ليلٍ دامسٍ
فعسى يكون بك انجياب الغيهب

كم مُدْجنٍ كانت بشارةُ صَحْوه

في جوف حالكةٍ شعاعةُ كوكب

أنا إنْ شكوتُ فما أهيبُ بمطلبٍ

وأجلُّ قدرك أنْ تجيبَ لمطلبي

قد راعني هذا المَصير فلم أجد

غيرَ اعتزال يراعتي من مهرب

وأهابني جشعُ النُّفوس فلذَّ لي

شَظَفُ التَّقيِّ ومُسْكَةُ (٢) المُترهِّب

أعرضتُ عن حَدْب اللَّئيم وفضله

ونفضتُ وعد المُخلف المُتكذِّب

وقبعتُ من نَفَق الحَياة بغيهبٍ

كالخُلْد (٣) يحتجرُ (٤) الرُّموس فيختبي

(٢) المسكة : ما يمسك الابدان من الغذاء والشراب .
(٣) الخلد : نوع من الفئران تعيش تحت الارض .
(٤) احتجر : اتخذ حجرة .

قد كادَ يقنعني العزوب عن الورى

أنْ ليس أهنأَ عيشةً من أعزب

حَسْبي إذا كان الوزير مخيِّبي

أنِّي بلطف الله غيرُ مخيَّب

أو كنتُ مغلوباً على أُمنيَّتي

فاللهُ عوني غالباً لم يُغلَب

في موكب الشهيد

في موكب الشهيد

القيت في حفلة تأبين شهيد العروبة والاسلام المغفور له المشير الركن عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية وذلك بمناسبة مرور اربعين يوما على استشهاده مع نخبة من وزرائه ومرافقيه في حادث الطائرة المشئوم الذي أودي بحياتهم يوم (١٣) نيسان (١٩٦٦) ٠

زِدْ يا عراقُ شجاً على أَشْجانِ
وأْشهد بعينكَ مصرعَ الشُّجعانِ

اَلْواهبينَ حياتهم لبلادهم
لا يأبهونَ بأبهضِ ٱلأَثْمان

نفرٌ يُطلُّ ٱلمجدُ من هاماتهم
غَنِيَتْ مفارقُهُمْ عن التِّيجان

عاشوا لِأُمَّتهم فلم يتنصَّلوا
عن كلِّ تضحيةٍ لها وتفان

من كلِّ صادقِ نيَّةٍ وعزيمةٍ

حَدْبٍ على أوطانه سهران

متربِّصٍ بالغادرينَ كأنَّه

من حولهم عَيْنٌ بلا أَجْفان

متمسِّكٍ بعرى التَّضامن لا يرى

كعزيز مطلبه عزيز أماني

تغلو دماه إذا أَحَسَّ بفرقةٍ

وتكادُ تصهره من الغَلَيان

كم فتنةٍ شبَّتْ فبادَ أُوارها

بسلاح هذا الحارس اليقظان

وبليَّةٍ عَمَّتْ فشمَّر دونها

عن حدِّ صمصام ورأس سِنان

للهِ حيطته وشدَّة بأسه

يحمي الحمى ويصول في الميدان

★

(عبد السَّلام) وما عرفتُ مجاهداً

جاراك صدقَ عقيدةٍ ولسان

ناضلت حتَّى لم تَدَعْ لمناضلٍ

فخراً يتيهُ به على الأَقْران

قلَّبْتُ ماضيكَ الوضيء فلم أجد

حرفاً عليه علامة الأذعان

ووقعتُ منك على صحائف سيرةٍ

لم تحو غير الصِّدق من عنوان

لم تَحْنِ رأسك للملوك ولم تجد

غير الأِلَهِ عليك من سلطان

أَكْبَرْتُ ثورتكَ الَّتي فجَّرْتَها

حمماً تدكُّ معاقلَ الطُّغيان

لمَّا رأيتَ سواك يمسخ وجهها

ناوَأْتَها وجهرت بالعدوان

ولقيتَ كيدَ الكائدينَ فلم تهن

عزماً ولم تعدم ثبات جَنان

ودخلتَ محكمةَ الجناة فلم تَخَفْ

جلّادها وهزأت بالسّجّان

ولَرُبَّ حكمٍ بالمنيَّةِ هلَّلَتْ

عيناك وابتسمت له الشّفتَان

مَنْ ذا الّذي ينساك تنصت هادئاً

وفؤادُ من قاضاك في خَفَقان ؟

خالوا السُّجون لمثل قدرك ذلّةً

فوجدتها للعزِّ خير مكان

وتوعّدوك بكلِّ شرٍّ عاجلٍ

فخذلتهم بالصّبر والأيمان

وأَرَوْكَ صحبك يسقطون بنارهم

وأَرَوْكَ غيرهمُ على العيدان

فكظمتَ غيظكَ تســتعدُّ لساعةٍ
تحتثُّ عقـربهــا عـلى الـدَّوَران

حـتَّى إذا حانَ القصـاص شـبَبتها
ناراً يمــور بهـا فمُ البركان

وتركتَ فرعونَ العــراق ورهطه
عارينَ من قبرٍ ومن أكفان

بوركتَ من بَـرٍّ بشعبك مخاصٍ
متهــالكٍ في حبِّــهِ متفان

ولطـالما أدْركتـه في محنــةٍ
ودفعت عنـه غـوائـل الحَـدَثان

ووقفتَ دونَ الطَّـامعين تكالبوا
زُمَراً عليــه تكالب الذُّؤبان

وطويتَ حكمَ الأوْصيـاء وعهـدهم
وفـوارقَ السَّـادات والعبــدان

ووزنتَ بالقسطاس بين أميرهم

وأجيرهم وعدلتَ في المـيزان

لم تنس ربَّك حين يلحقُكَ الأَذى

أو تستجبْ لنوازغ الشَّيطان

قلبٌ يدكُّ الطَّودَ في جبروته

وكأنَّه في العطف عشُّ حَنان

تلقى المسيء مجلَّلاً بذنوبه

فتحوطه بالعفو والغفران

خُلُقٌ كخلْقِ الأنبياء تعفُّفاً

وطبيعةٌ طبعت على الأِحْسان

شاركتَ شعبكَ بؤسَهُ ونعيمَهُ

ومداهُ في الأفراح والأحزان

ونذرتَ نفسك للعروبةِ لم تَحِدْ

عن خطِّكَ العربيِّ قيدَ بنان

وأَبَيْتَ إلَّا الوحـــدويـَّةَ مطلباً

تبْغيــــهِ في ديـنٍ وفي أوطـان

وجمعت شعبكَ غـيرَ ما متقاعسٍ

عنْ رصِّ وحـدتـه ولا متـوان

ووقيتــــه شــــرَّ الخـلاف وصنته

من جذوة الأحقـاد والأضغان

ولِمَ الخـلاف وكلُّهـم متمسِّكٌ

باللهِ والإِســـلام والفـــرقان ؟

هَلْ موقفُ السُّـــنِّي من شيعيِّهم

إلَّا كما تتشابكُ الـكفَّان

ولِمَ الشِّـقاقُ وهم تتمَّــــةُ بعضهم

ولكلِّ قلـبٍ نابضٍ عِـرْقان ؟

ولِمَ الخصـامُ ولم يكن (لعليِّـهم)

ثأرٌ مع (الفاروق) أو (عثمان) ؟

بيتُ النّبوّةِ قُدِّست (زهراؤه)

و (الحيدرُ الكرّار) و (الحَسنان)

نَزَلَ الكتاب على سماهُ مطهَّراً

وبه تكاملَ خاتمُ الأديان

ولمَ العداءُ يعوذ من عربيِّهم

كرديُّهم وكلاهما أَخَوان ؟

وكلاهُما في رزقهِ ومعاشه

وحقوقه وبلاده سيَّان

شعبانِ عاشا ما وَهَتْ صلتاهما

مَنْ ظَنَّ أَنَّهما سيختلفان ؟

إلْفانِ ما فصمَ الزَّمان عُراهما

يوماً فكيف تبدَّلَ الألْفان ؟

هل فتَّ في عضديهما أنْ يردعا

بالنُّصح من جنحوا الى العصيان ؟

تبَّتْ يدُ المستعمرين أغاظهم

صفوُ الرِّفاقِ وإلْفَةُ الأُخْوان ؟

جعلوا من القُرَباء أهل عداوةٍ

يتخاصمونَ فكيف بالجيران ؟

وتكفَّلوا قتْلَ الشَّقيقِ شقيقَهُ

من غير عاطفةٍ ولا وجدان

من أين للمتلبِّسين بجرمهم

أنْ يؤمنوا بكرامة الأُنسان ؟

أَتَظَلُّ آلافُ الشُّعوب تسوقها

للموتِ شرذمةٌ من القرصان ؟

أَكَلُوا الشُّعوب وما تزال بطونهم

تشكو سعار الجائع الظَّمآن

ولَرُبَّما صعدوا السَّماء ليبحثوا

في الجَوِّ عن بلدٍ وعن سكَّان

مَنْ ذا الَّذي يدري مدى أَطْماعهم

إنْ لم يَعُدْ يستوعب القَمَرآن ؟

أَوَ لم يديروا (للمسيح) ظهورهم

من أَجْل ذاك الأَصْفر الرَّنَّان ؟

ويبرِّؤا ذمم اليهود كأَنَّما

صُلِبَ (المسيح) على يدِ الرُّهبان

جعلوا من الأُسلام ظلَّ حمايةٍ

للعابثينَ بحرمةِ الأديان

الْكافرينَ بربِّهم وبلادهم

الْمؤثرين عبادةَ الأوثان

الْمرجفينَ الخادعين شعوبهم

الطَّامسينَ الحقَّ بالبُهْتان

الْمستغلينَ الجهالةَ والعمى

لدوامِ حُكْمٍ أو بقاء كيان

وكَفَى (بأسرائيل) أنْ تَلْقَى بهم

لحمايةِ العدوان خير ضمان

هل فتَّشَ المستعمرونَ فلم يروا

كالمسلمينَ أَضلَّ في العميان ؟

وغداً إذا غُلبوا على أهوائهم

سيرونَ شرَّ عواقب الخذلان

سيرونَ في الأسلام دينَ كرامةٍ

للمسلمينَ وليس دينَ هوان

سيرونَ في الأسلام صُلْبَ عقيدةٍ

لا تلتوي بالمكر والرَّوَغان

مَنْ كادَ للأسلام حتَّى شَقَّهُ

فئتين حانقتين تصطرعان ؟

وإذا القضاءُ جرى ليهلكَ أمَّةً

لم تَدْقَ كالبغضاء من سَرَطان

★

رُحْماكَ يا (عبدَ السَّلامِ) بأُمَّةٍ

لم تبقَ قادرةً على الْأَشْجانِ

رُحْماكَ في وطنٍ بنيتَ كيانَه

وتركتَه في أَوَّلِ الْبنيانِ

رُحْماكَ في شعبٍ سددتَ بوجهِهِ

سُبُلَ الْعزاءِ وأَوْجهَ السُّلوانِ

أَنْعشتَ في تمُّوزَ حبَّةَ قلبِهِ

ومنحتَه الْعَبَراتِ في نيسانِ

وا غدرَ طائرةٍ عديمةِ ذمَّةٍ

أَوْدتْ بمعيي النَّسْرِ في الطَّيرانِ

ماذا دهاها فارْتمتْ مجنونةً

لم تعتصم بالصَّبرِ بضعَ ثوانٍ ؟

ما بالها جُنَّتْ ولم يكُ بينَ مَنْ

حملتْ من الْأبطالِ أيُّ جبانِ ؟

لو لم نحطِّمْ نفســها لتحطَّمت

بدوام لعنتها مــدى الأَزْمان

عرضت لهـا هوجُ الرِّياح فأَجْفلت

مذعورةً ومضت بغـير عِنان

وأَخافها شبح الظَّلام فأَوْقَدَتْ

من صدرهـا برجاً من النِّيران

يا ويلهــا طارت لتلقى حَتْفَها

وجَنَتْ على ركبانها العِقْبان

ولَرُبَّ أحرارٍ قضوا أَكْتافُهُمْ

في بعضها والهامُ في السِّـيقان

عاشوا الحياةَ موحِّدين قلوبهم

وتمازجوا في المـوت بالأَبْدان

شـهداءُ ينطقُ سعيُهُمْ وجهادُهُمْ

عن صالحٍ يبقَى وعمرٍ فان

لكأنّني بهمُ إذا حشِروا غداً

يَفِدون إخواناً على (رضوان)

لا كانَ يا (عبدَالسَّلام) ركوبُها

وودت لو ركضْتَ بكَ القَدمان

خذلتكَ في يوم الجهاد تشنُّها

حرباً على الدُّخَلاء والأعْوان

فقضيتَ أشْرَفَ ما قضى مستشهدٌ

وأبيْتَ إلَّا صحبةَ القرآن

واكبتُ نعشكَ والدُّموع هواطلٌ

والنَّاسُ في صَخَبٍ وفي جَيَشان

يتدافعونَ وظلُّ نعشك فوقهم

كسفينةٍ تجري على طُوفان

وأَرى مواكبهم وأَسألُ هل بكت

بعدَ (الحسين) على شهيدٍ ثان ؟



يتدافعونَ وظِلُّ نَعْشِكَ فوقهمْ　　　كسفينةٍ تجري على طوفانِ

لو لم تكن إلَّا الصَّلاة (لأحمدٍ)

و (لآلِهِ) صلَّى لك (الحَرَمان)

وارَوْكَ والعبراتُ ملءُ جفونهم

ما بينَ تكبيرٍ وبين أذان

زمرٌ تنوح وآخرونَ سواهُمُ

يتمسَّحونَ بطاهر الجثمان

كم خضَّبَ المنديلَ منهم ناحبٌ

واساهُ آخرُ ناقع الأَرْدان

أَتُرى أكاليلُ الزُّهور تحيَّفت

بعدَ احتضانك جيرة الأغصان ؟

نشرت على ميَّادِ نعشك ظِلَّها

وتشمَّمت أَذْكَى من الرَّيحان

وكَأَنَّ أَوْسمةَ البطولة هالها

أن لا تكون بصدرك المزدان

تبعتـــكَ وهي تـودُّ لو نـزّهتهـا

في ٱلقَـدَْر عن ماسٍ وعن عِقْيـان

(عبدَالسَّـلام) وأيُّ هَوْلِ مصيبـةٍ

هـدَّتْ أمانينـا من ٱلأركان

ما غابَ صوتُـك وهو يهتف عالياً

بالوحــدةِ ٱلكبرى عن ٱلآذان

ولَـكانَ هـانَ الـرُّزْءُ لـو أَمهلتهـا

تمتـدُّ من (عَـدَنٍ) الى (تَطْوان)

أُمنيـةٌ هيهاتَ تَنْشــد غيرهـا

أُمنيَّــةً لو صـدَّك الثَّقَــلان

فٱصبر على ٱلأقدار صبرَ موحِّـــدٍ

راضٍ بحكـمِ ٱلواحـدِ الـدّيَّان

وٱنعَـــم مع ٱلأبرار في عليائهم

وتَلَـقَّ رحمـــةَ ربِّـكَ الرَّحمـان

الخطأ والصواب

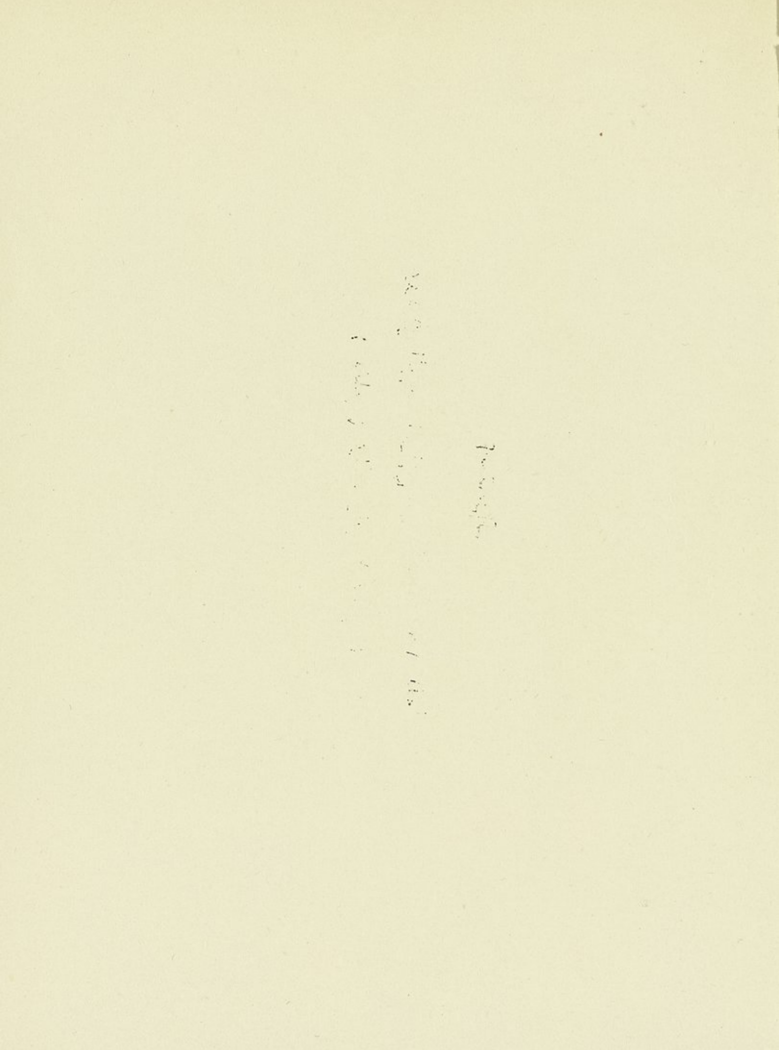
الصفحة	البيت	الخطأ	الصواب
٤٠	٤	يَسلمونا	يُسلِّمونا
٦٠	٤	أفلَّ	أقلَّ
٦٠	٥	ورجاءُ	ورجاءَ
٦١	٥	بيناً	بيتاً
٦٨	٧	وعجيبُ	وعجيبُ
٧١	٦	والافلام	والاقلام
٨٩	٦	يحتضون	يحتضنون
٩٦	٩	واطرح	واُطَّرح
٩٨	٥	جامحَ	جامحُ
١٥٧	٦	عظيمُ	عظيمِ
١٧٥	١	بشارةُ	بشارةَ

تنبيـه : سقط البيت التالي من قصيدة (ليلة في الشوير) وهو البيت الخامس في التسلسل من صفحة ١٢٥ ٠

إنْ تمشَّت تكادُ لا تطأُ الأرضَ   اُختيالاً ولا تمَسَّ ثراها

الفهرس

الشــعر



استدراك

ورد في البيت الرابع من صفحة ١٨٠ كلمة

(تغلو) والصواب (تغلي)



حافظ جميل

★ ولد الشاعر في مدينة بغداد عام ١٩٠٨ وهو من عائلة (آل الجميل) المعروفة في العراق ٠

أتم في بغداد الدراستين الابتدائية والثانوية والتحق بالجامعة الاميركية في بيروت عام ١٩٢٥ وانهى دراسته فيها عام ١٩٢٩ بعد حصوله على درجة (بكالوريوس) في العلوم ٠

★ اشتغل مدرسا لعلوم اللغة العربية وآدابها في الثانوية المركزية وفي دار المعلمين الابتدائية في بغداد حتى أوائل عام ١٩٣٢ حيث استقال من وظيفة التدريس ٠

★ عين في أواسط عام ١٩٣٢ موظفا في وزارة المالية ثم نقل الى وزارة المواصلات حيث تقلد فيها عدة وظائف كان آخرها وظيفة مفتش عام للبريد والبرق والتلفون ٠

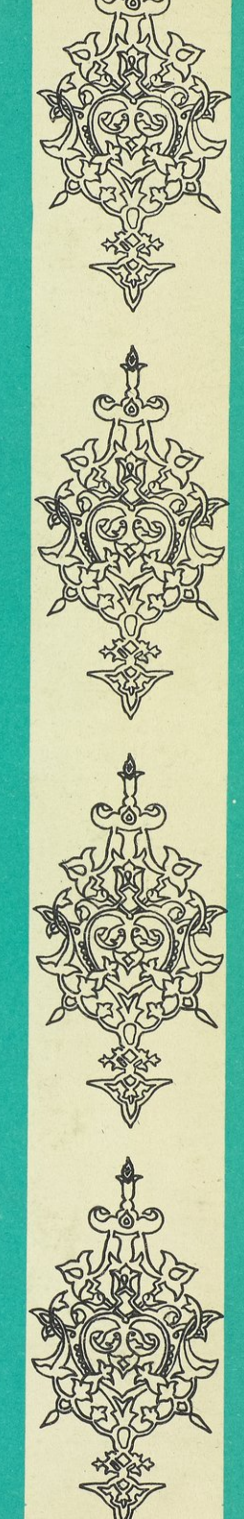
★ أحال نفسه على التقاعد في أواسط عام ١٩٦٣ بسبب ظروفه الصحية ٠

★ صدر له ديوان شعر صغير باسم (الجميليات) عام ١٩٢٣ وهو يومئذ تلميذ في المدرسة الثانوية ٠

★ صدر له ديوان شعر ثان باسم (نبض الوجدان) عام ١٩٥٧ ٠

★ مثل العراق في كثير من مؤتمرات الادب وفي مهرجان الشعر العربي السادس ببغداد ٠

دار الجمهورية ـ بغداد
١٣٨٦
١٩٦٦





ثمن النسخة (٣٥٠) فلساً